جامع التفاسير رواية ودراية جمعاً ودراسة

الآياتُ (٢٨٤ ـ ٢٨٦) من سورةِ البَقرَةِ

إعداد الباحثة :

هالة عباس عبد الله كشميري

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية – تخصص : الكتاب والسنة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة جدة- المملكة العربية السعودية

جامع التفاسير رواية ودراية جمعاً ودراسة الآياتُ (٢٨٤ . ٢٨٦) من سورةِ البَقَرَةِ

هالة عباس عبد الله كشميري
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية – تخصص: الكتاب والسنة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة جدة– المملكة العربية السعودية
Hallo_ak_94@hotmail.com

المستخلص:

هذا البحث بعنوان: "جامع التفاسير رواية ودراية جمعاً ودراسة"، وقد تناولت هذه الدراسة الآيات من الآية (٢٨٤) إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة. وتم تقسيم الدراسة إلى باب واحد يسبقه مقدمة ويليه خاتمة وفهارس، حيث كان الباب عن: الإيمان بالرسالات وتكليف اللهتعالى عباده بقدر وسعهم ومحاسبتهم على ذلك لعلمه سبحانه بأفعالهم ونواياهم [الآيات (٢٨٤ – ٢٨٦) من سورة البقرة]. ولقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج منها: يلجأ المؤمنون إلى ربهم فيسألونه أن يغفر لهم ما عساه يطرأ على أنفسهم فيعوقها عن الرقي في معارج الكمال الذي دعاها إلى الإيمان بها. وأثبتت الآيات في سورة آل عمران وحدانية الله، والنبوة، وصدق القرآن، وإبطال شبهات أهل الكتاب ومناقشتهم وأن الدين المقبول عند الله هو الإسلام. وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية :جامع التفاسير- رواية ودراية- جمعا ودراسة- الآيات (٢٨٤- ٢٨٦)- سورة البقرة

Al-Tafaseer Novel, Knowledge and Collection of and Study of Verses (284-286) from Surat Al-Baqara

Hala Abbas Abdullah Kashmiri
Department of Sharia and Islamic Studies - Major: Book and Sunnah
College of Arts and Humanities, University of Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia
Hallo_ak_94@hotmail.com

Abstract:

This research is entitled: "Collector of Tafasir novel and knowledgeable collection and study," This study deals with verses from verse (**284**) to verse (**286**) of Surat Al-Baqarah. The study was divided into one section preceded by an introduction and followed by a conclusion and indexes, where the door was about: faith in the messages and assign God Almighty as much as they can and hold them accountable for his knowledge of his actions and intentions [verses (**286-284**) of Al-Baqarah]. The study has reached some results, including: Believers resort to their Lord ask him to forgive them what may happen to themselves Viohaha for progress in the marches of perfection, which invited her to believe in them. The verses in Surat Al-Imran proved the oneness of God, the prophecy, the truthfulness of the Qur'an, the invalidation of the suspicions of the people of the book and their discussion and that the religion acceptable to God is Islam. May Allaah bless our Prophet Muhammad and his family and companions.

Keywords: Mosque of Tafasir - novel and know-how - collection and study - verses (284 - 286) - Al-Baqarah.

المقدمة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[1]. لا يُحصي عدد نعمه العادّون، ولا يؤدي حق شكره الحامدون، ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[2] أحمده على الآلاء، وأشكره على النعماء، وأستعين به في الشدة والرخاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الخلق أجمعين بلسان عربي مبين، بلّغ الرسالة وأظهر المقالة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،،،

فإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وتنافس فيه المتنافسون طوال القرون، وأحقَ ما صُرفت الهمم لتحصيله، وأجمع الثقلان على تفضيله، وأُفنيت الأعمار فيه، هو كتاب الله تعالى، هو الجالي للحقائق الحقيق بكل المحامد، من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه فقد غوى، كَشفت جِلة أنواره دياجير الظلام، وشهد العالمون له بالتمام ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[3]. لا تنقضي عجائبه، ولا تقلعُ سحائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، فهو المعين الذي لا ينضب، والخير الذي لا ينفذ، حارت في روعته فهوم العلماء، وأُلجمت حجته ألسنة الأدعياء ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[4].

ولما كانت النفوس في هذه الحياة بحاجة لدليل يرشدها في المدلهمات، وهادٍ ينير طريقها في الظلمات، كان كتاب الله جل وعلا ذلك النور الذي تتكشف به كل ظلمة، والحق الذي تتحدر أمامه كل شبهة، وصدق الله تعالى

(١) سور الأنعام، الآية: ١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٧.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢.

القائـل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ (١).

فقد حوى من أسرار المعاني وجميل المباني ما يسدُ رمقها، ويروي فطرتها، لأن النفس جبلت على التوجه إلى خالقها، فلا تسكن إلا إليه ولا تأنس إلا به، لذا أرشد الله سبحانه تعالى عباده على التفكر والتدبر بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ (٢).

ولما كان الأمر بهذه المثابة انكبَّ العلماء على كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً، وتفسيراً وتحليلاً، واستنباطاً وترجيحاً، وكثرت تواليفهم المتعلقة بعلومه حتى فاقت الحصر.

هذا ولقد تناثر في قعر ذلك البحر الزاخر من المصنفات أنواع من الدُرر(٣) في شتى أبواب العلم، ولا شك أن العلوم مهما تعددت ضروبها واختلفت أنواعها، فلا مراء أن علم التفسير صدرها ورأسها، وأسماها وأسناها لتعلقه بكلام الله تعالى أشرف الكلام وأبينه، وأوفاه وأكمله، فشمَّر لأجله المجدون، وتسابق لمكنون علمه المتسابقون بحثاً عن كنوز أسراره، واستخراج المنثور من لآلئه وأصدافها بين مأثور منقولٍ عن سلف، ورأي وترجيح واردٍ عن الخلف، يحتاج استخراجها إلى غوص وتتبع، وبحث وتفحصٍ، ومهارة وحذق، كما أن نظمها وصياغتها وحسن عرضها وبيانها يتطلب رسوخاً وذوقاً، ودقة وإحكاما. ومن هنا كان بحثي يتناول ثلاثة آيات، وتبدأ من الآية (٢٨٤) إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.

فكرة البحث:

هي جمع تفسير الآيات القرآنية الواردة في الآثار، وكذلك التفسير بالدراية، وما يتعلق بها من سبب النزول، والقراءات، والمقاصد، والتفسير اللغوي، والإعراب، والبلاغة، وأحكام القرآن، إلى غير ذلك مما يتعلق بالآيات الكريمة، مع دراسة هذا الجمع المبارك، وبيان ما تثبت نسبته من ذلك إلى قائله وما لا تثبت نسبته، وما يصحّ من هذه الأقوال مما لا يصحّ، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض من ذلك أو الترجيح بينه. وذلك من خلال كتب التفسير المطبوعة والمتداولة، وقد يحقق تناولي للآيات الأهداف التالية:

١. التعرف على مصادر التفسير.
٢. التعرف على تطور التفسير.
٣. الوقوف على مناهج المفسرين وطرائقهم في التأليف.
٤. التمرس على نقد التفسير والنظر والجمع بين أقوال المفسرين.
٥. التطبيق العملي لمقررات السنة المنهجية.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.
(٣) مقدمة كتاب قواعد التفسير للسبت.

٦. توظيف الجهود لإخراج موسوعة تفسير ذات منهج علمي رصين.
٧. توفير الوقت على الطلاب والطالبات أثناء البحث عن موضوع.
٨. منهج الموضوع يستوعب تخصص كتاب وسنة؛ لما فيه من الروايات وتخريجها والحكم عليها.
٩. التمرس على صياغة التفسير بالاستفادة من الإعراب والأساليب البلاغية.

وأما خطة البحث؛ فيتكون البحث من مقدمة، وباب، ويتكون من ثلاثة فصول، ثم خاتمة، وفهارس علمية، وتفصيلها كالتالي:

- المقدمة: وقد تضمنت: بيان سبب اختيار البحث، وأهميته، ومنهج البحث، وخطة البحث.
- الباب الأول: الإيمان بالرسالات وتكليف الله تعالى عباده بقدر وسعهم ومحاسبتهم على ذلك لعلمه سبحانه بأفعالهم ونواياهم.
- الفصل الأول: إثبات توحيد الله - عز وجل-: وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: التفسير بالرواية: ويشتمل على أربعة مطالب:
- المطلب الأول: سبب النزول.
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.
- المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.
- المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.
- المبحث الثاني: التفسير بالدراية: ويشتمل على خمسة مطالب:
- المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها.
- المطلب الثاني: التفسير اللغوي.
- المطلب الثالث: أوجه الإعراب.
- المطلب الرابع: الأساليب البلاغية.
- المطلب الخامس: الاستنباطات.
- **المبحث الثالث: التفسير الجملي.**
- **الفصل الثاني: دعاء الراسخين في العلم:** وفيه ثلاثة مباحث:
- **المبحث الأول: التفسير بالرواية:** ويشتمل على أربعة مطالب:
- المطلب الأول: سبب النزول.
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.
- المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.
- المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.
- **المبحث الثاني: التفسير بالدراية: ويشتمل على خمسة مطالب:**
- المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها.
- المطلب الثاني: التفسير اللغوي.
- المطلب الثالث: أوجه الإعراب.

- المطلب الرابع: الأساليب البلاغية.
- المطلب الخامس: آيات الأحكام.
- المطلب السادس: الاستنباطات.
- **المبحث الثالث: التفسير الجملي.**
- **الفصل الثالث: تكليف الله تعالى العباد بقدر طاقاتهم:** وفيه ثلاثة مباحث:
- **المبحث الأول: التفسير بالرواية: ويشتمل على أربعة مطالب:**
- المطلب الأول: سبب النزول.
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.
- المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.
- المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة. \
- **المبحث الثاني: التفسير بالدراية:** ويشتمل على ستة مطالب:
- المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها.
- المطلب الثاني: التفسير اللغوي.
- المطلب الثالث: أوجه الإعراب.
- المطلب الرابع: الأساليب البلاغية.
- المطلب الخامس: آيات الأحكام.
- المطلب السادس: الاستنباطات.
- **المبحث الثالث: التفسير الجملي.**
- المبحث الأول: التفسير بالرواية: ويشتمل على أربعة مطالب:
- المطلب الأول: سبب النزول:
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن:
- المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.
- المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة:
- **المبحث الثاني: التفسير بالدراية: ويشتمل على ستة مطالب:**
- المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها:
- المطلب الثاني: أوجه الإعراب:
- المطلب الثالث: الأساليب البلاغية:
- المطلب الرابع: آيات الأحكام:
- المطلب الخامس: الاستنباطات:

منهج البحث:

فقد التزمت بعون الله – تعالى – في ثنايا هذا البحث بما يلي:

١. سرت في كتابة هذا البحث وفق المنهج المطلوب في دليل الرسائل العلمية المطبوع من جهة جامعة الملك عبد العزيز.
٢. جمع ما تيسر من نصوص التفسير من التفاسير المطبوعة المعتبرة مرتبة تاريخياً بتقديم السابق ثم اللاحق.
٣. تقسيم البحث إلى موضوعات مترابطة، حسب حاجة البحث.
٤. الرجوع إلى المصادر الأصلية لكل عِلْمٍ بحسب الموضوع، مثل: علوم الحديث والحديث وشروحه والغريبِ واللغة والتفسير من مصادره الأصلية سواء من كتب التفسير بالمأثور أم بالرأي وأسباب النزول وكذا القراءات وغيرها... وعند الوقوف على أي معلومة فإني أعدد المصادر ومن ثم أقوم بترتيبها حسب الأقدم فالأحدث.
٥. مراعاة التسلسل التاريخي في جميع المصادر لكل علم معتمدة التأريخ الزمني على حسب وفيات أصحابها، إلا الكتب الستة فإني أُقدّمها على غيرها لجلالتها وتقدمها بين كتب الحديث المسندة مراعيةً الترتيب بينها حسب الأهمية.
٦. تقسيم النقول إلى قسمين: قسم الرواية ثم الدراية.
٧. قد يتم التطرق لذكر أقوال المفسرين بالدراية تحت مبحث المفسرين بالرواية أو العكس عند الحاجة إلى ذلك.
٨. عدم تكرار النقل، والاكتفاء بالإشارة إلى ذلك إما إلى سابق أو لاحق - عند الحاجة - لمعلومة سيأتي تفصيلها في موضعها المناسب، أو تخريج حديث سبق تخريجه، فإني أشير إليها تجنباً للإطالة.
٩. حرصتُ على نقل النص الحرفي للمفسر غالباً، لقوة الأسلوب في إيضاح المراد بصورة بليغة وموجزة أحياناً.
١٠. أعزو الأقوال إلى قائليها، وأحيل إلى الأصل مباشرة، ولا ألجأ للعزو بالواسطة إلا إن تعذرت الإحالة إلى الأصل، مع تحري الدقة والأمانة العلمية في توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها.
١١. لم أترجم للصحابة المشهورين، وإنما ترجمت لمن هم دونهم - إلا ما سقط سهواً -، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية المعتمدة في ذلك.
١٢. التزمت عند ترجمة الأعلام بترجمة موجزة تتضمن: الاسم، والكنية، ومكان المولد والسنة التي ولد فيها إن وجد، ومكان الوفاة والسنة التي توفي فيها، ثم أختم بذكر أبرز ما قيل عنه، أو ما اشتهر به - جرحاً أو تعديلاً - في أول موضع يرد فيه.
١٣. عزو الشواهد الشعرية وتوثيقها من مصادرها.
١٤. حاولت أن أستقصي - قدر المستطاع - جميع الأقوال في المسألة - المختلف فيها - ثم الترجيح بينها وفق قواعد الترجيح مع الاستعانة بكتب متخصصة بذلك كقواعد الترجيح للحربي، مع ما وافق ذلك من كتب التفسير، وذلك للوصول إلى القول المختار في حال الخلاف.

وأخيراً... أتقدم بعاطر الشكر وجميل الامتنان للمشرفة الفاضلة الأستاذة الدكتورة/ فاتن حسن حلواني، فلا أوفيها حقاً ولا أنكر لها فضلاً، فلطالما أعطت، ورعت، وتعاهدت، وصبرت عليَ وما كلت، وشحذت فيَ الهمم وما ملَت، ولم تدخر عني علماً ولا نصحاً، بلطيف عبارةٍ، وجميل حلم، ورقي سمتٍ؛ فكانت لي مثالاً أحتذيه، ومورد للعلم أغتذيه، فشكر الله لها ما آت، وتولى جزاءها على ما قدمت، وكافأها بأحسن ما نوت، وبارك الله لها في علمها وعملها وعمرها وثقل بالحسنات ميزانها.

والشكر موصول لجامعة الملك عبد العزيز، هذا الصرح الشامخ الذي حمل على عاتقه تعزيز المسيرة العلمية وتطويرها، وأخص بالشكر كل من أسس وخطط لهذا المشروع المبارك، كما أشكر أستاذاتي القديرات اللواتي تكرمن عليَ بنصحهن وتوجيههن وتحفيزهن.

الباب الأول: الإيمان بالرسالات وتكليف الله تعالى عباده بقدر وسعهم ومحاسبتهم على ذلك لعلمه سبحانه بأفعالهم ونواياهم

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾(١).

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إثبات توحيد الله – عز وجل–:

الفصل الأول: إثبات توحيد الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ (٢):

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالرواية:

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب النزول.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١، ٢.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.
المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.
المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية:

ويشتمل على خمسة مطالب:
المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها.
المطلب الثاني: التفسير اللغوي.
المطلب الثالث: أوجه الإعراب.
المطلب الرابع: الأساليب البلاغية.
المطلب الخامس: الاستنباطات.

المبحث الثالث: التفسير الجملي.

المبحث الأول: التفسير بالرواية: ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب النزول:

نزلت السورة في وفد نصارى نجران؛ فقد أتى النصارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخاصموه في عيسى بن مريم عليه السلام، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدا. وهو يشبه أباه قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا حيٌ لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا حكيمٌ على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه قالوا: بلى. قال: فهل عليه عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قالوا: بلى. قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم، قالوا: لا. قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث. قالوا: بلى. ألستم تعلمون أن عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث. قالوا: بلى. قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم. قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحودا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (١).

(١) أخرجه الإمام جرير الطبري، و ابن أبي حاتم في تفسيريهما بسند حسن، وأورده ابن حجر العسقلاني في العجاب في بيان الأسباب، والإمام السيوطي في اللباب المنقول في أسباب النزول، ج١، ٥١. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٣، ١٦٣، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٥، العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مصدر سابق، ج٢، ٦٥٧، والسيوطي، لباب النقول، مصدر سابق، ج١، ٥١. كما أورده جماعة من المفسرين في تفاسيرهم، ينظر: الباتلي= =خالد بن عبد العزيز (٢٠١١): التفسير النبوي مُقَدِّمَةٌ تَأْصِيْلِيَّةٌ مَعَ دِرَاسَةِ حَدِيْثِيَّةِ لِأَحَادِيْثِ التَّفْسِيْرِ النَّبَوِيِّ الصَّرِيح، (دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية)، ج١، ١٢٧٦، والرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٧، ١٣٣، والخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (١٤١٥هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج١، ٣١٧، وأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج٢، ٣٨٩، وأبي حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٥، ١٢، والسيوطي، الدر المنثور، مصدر سابق، ج٢، ١٤١، والعمادي، إرشاد العقل السليم، مصدر سابق، ج٢، ٢، والألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج٣، ٧٥.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن:

ورد اسم الحي لله تعالى في عدة آيات:

قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ ب هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ (١). وقال تعالى ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ (٢). وقال تعالى ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي ف يَمُوتُ﴾ (٣). وقال تعالى ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٤).

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله:

أولاً: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

روي - عنه صلى الله عليه وسلم- "اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في سورة البقرة (الله لا اله إلا هو الحي القيوم)، وفى آل عمران (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفى طه: (وعنت الوجوه للحى القيوم). وهذا رد على من زعم أن عيسى عليه السلام كان ربا فإنه روى أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا (٥). وعن أسماء بِنتِ يَزيد - رضي الله عنها - أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «اسمِ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: وَإِلهُكُمْ إِلـهٌ واحِدٌ لاَّ إِلـهَ إِلَّا هُوَ الـرَّحْمنُ الـرَّحِيمُ، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: الم اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» رواه أبو داود رحمه الله، واللفظُ له، والترمذيُّ، وابن ماجة رحمهما الله، وقال التّرمذيّ رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح (٦).

ثانيا: التفسير الأثري الوارد عن الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم:

عنْ عليٍّ - رضي اللَّه عنه - قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَاتَلْتُ شَيْئاً مِنْ قِتَالٍ، ثمَّ جِئْتُ إلى رسُولِ اللَّه صلّى الله عليه وسلّم أنظر ما صنع فجئت، فإذا هو بسَاجِدٌ يَقُولُ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ"، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى القِتَالِ، ثُمَّ جِئْتُ،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١١١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٥) ينظر: الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (د.ت): روح البيان، (دار الفكر، بيروت)، ج٢، ٢.

(٦) ينظر: أبو داود، سنن أبي داود، مصدر سابق، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث (١٤٩٦)، ج١، ٤٧٠، والترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب "الدعوات"، حديث (٣٤٧٨) ج٥، ٥١٧، وابن ماجة، سنن ابن ماجة، مصدر سابق، كتاب "الدعاء"، باب اسم الله الأعظم، ج٢، ١٢٦٧.
وأبوداود سكت عنه [وقال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح] . وقال ابن حجر العسقلاني في تخريج أحاديث شكاة المصابيح: حسن . وقال عنه الألباني في صحيح الجامع: حديث حسن وقال السيوطي في الجامع الصغير: صحيح. وأشار أحمد شاكر في مقدمة عدة التفسير إلى صحته.

فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ لاَ يَزِيدُ على ذَلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ جِئْتُ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ»(١).

وروى الضحاك - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: الحي قبل كل حي، والحي بعد كل حي، الدائم الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه، والقائم على العباد بأرزاقهم وآجالهم. ويقال: الحي القيوم هو اسم الله الأعظم. ويقال: أن عيسى بن مريم عليهما السلام، كان إذا أراد أن يُحيي الموتى، يدعو بهذا الاسم يا حي يا قيوم. ويقال: إن آصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان - عليه السلام - دعا بقوله يا حي يا قيوم، ويقال: إن بني إسرائيل، سألوا موسى - عليه السلام - عن اسم الله الأعظم فقال لهم: قولوا اهيا - يعني يا حي - شراهيا - يعني يا قيوم - ويقال: هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يدعون به(٢).

ومن المفسرين من قال هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها. وقد قال بذلك من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين. ومن التابعين: عامر الشعبي (٣). وكذلك سفيان الثوري (٤)، وجماعة من المحدثين رحمهم الله (٥)، وذهب إلى ذلك جماعة من المفسرين (٦).

---

(١) رواه النِّسائِيُّ رحمه الله، والحاكمُ في "المستدرك" رحمه الله، واللفظ للنسائِيِّ.
ينظر: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (٢٠٠١): السنن الكبرى، تحقيق: حسين عبد المنعم شبلي، (مؤسسة الرسالة، بيروت)، ج٦، ١٥٧، كتاب "عمل اليوم والليلة"، باب الاستنصار عند اللقاء، حديث (10447)، والحاكم، المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق، ج١، ٢٢٢، وقال صحيح الإسناد.

(٢) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (د.ت): بحر العلوم، (د.ن)، ج١، ١٩٢.

(٣) عامر الشعبي: هو عامر بن شرحبيل بن عبيد، أبو عمرو، ولد لست سنين خلت من خلافة سيدنا عثمان ﷺ سنة: ٢٠ هـ، من أئمة التابعين وحفاظهم، وكان إمام أهل زمانه في الحديث والفتيا والفقه، وغير ذلك من فنون العلم، توفي سنة: ١٠٤ هـ، وقيل: ١٠٧ هـ.
ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٦، ٢٤٦، وابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، (٢/ ٢٢٧)، واليافعي، مرآة الجنان، مصدر سابق، ج١، ٢١٥.

(٤) سفيان الثوري هو: سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله، ولد بالكوفة سنة: ٩٧ هـ، الفقيه الذي فاق أقرانه في الفقه والاجتهاد، حتى قيل عنه: أحد الأئمة الخمسة. قال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان. توفي بالبصرة سنة: ١٦١ هـ.
ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٦، ٣٧١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، مصدرسابق، (١٤٧/٣)، وابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (١٩٨٦): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ج١، ٢٥٠، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج١، ١٥٤.

(٥) منهم الربيع بين هيثم وأبو حاتم بن حيان.
ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٣٧.

(٦) منهم القرطبي، فقال في تفسيره: قلت: هذا القول في المتشابه وحكمه وهو الصحيح.
ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج١، ١٥٥.

وقال جمع من العلماء كبير: بل يجب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تخرج عليها واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة: قال بعضهم هو اسم الله الأعظم. قال به ابن عباس رضي الله عنهما (١)، والشعبي (٢).

وقال بعضهم هو اسم من أسماء القرآن. قال بذلك قتادة، ومجاهد، وابن جريج رحمهم الله (٣). وقال بعضهم: إنما هي أسماء السور. قال به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٤). وقال بعضهم هو فواتح يفتح الله بها القرآن. قال به مجاهد (٥). وقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهي من أسمائه. قال به ابن عباس رضي الله عنهما(٦).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٧، ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج١، ١٥٥.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٣٧.

(٣) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، رومي الأصل، من موالي قريش، قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس، مكي المولد سنة (٨٠ هـ) والوفاة ت سنة (١٥٠هـ).
ينظر: المزي، تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج١٨، ٣٣٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٦، ٣٢٥، والزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج٤، ١٦٠. والأثر أخرجه عنهم الطبري في تفسيره، وكذا أخرجه عن قتادة ومجاهد ابن أبي حاتم في تفسيره، بينما نسبه إليه القرطبي في تفسيره. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٧، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٤، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج١، ١٥٦.

(٤) عبد الرحمن بن زيد هو: عبد الرحمن بن زيْد بن أسْلم العَدوي العُمَري. كان - رحمه الله - مولى عمر بن الخطاب ﷺ. كما كان صاحب قرآن وتفسير. قال عنه ابن حجر: ضعيف. توفّي بالمدينة سنة (١٨٢هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سلبق، ج٧، ٥٩٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٨، ٣٤٩. والأثر أخرجه الطبري في تفسيره عنه، بينما نسبه إليه ابن كثير في تفسيره وتعقب عليه. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، ٢٨٧. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٣٧ وعقّب على ذلك بقوله: "قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر، ونقله عنه سيبويه أنه نص عليه ويتعضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقرأها في صلاة الصبح يوم الجمعة آلم، والسجدة، وهل أتى على الإنسان).

(٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما، ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٧، وابن ابي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٤.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره، بينما نسبه إليه ابن كثير في تفسيره والفيروز آبادي في تنوير المقباس.
ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٣٧، الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (د.ت): تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، (دار الكتب العلمية، لبنان)، ج١، ٣.

وعن عكرمة - رحمه الله - ([1]). قال: ﴿الم﴾ قسم، ورد بعض العلماء قول أنه قسم فقط([2]).

وقال بعضهم هو حروف مقطعة من أسماء وأفعال كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الآخر. فقالوا (الم): أنا الله أعلم. جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ([3])، وعن سعيد بن جبير ([4])، والضحاك رحمهما الله. وقال بعضهم هي حروف هجاء وموضوع. جاء ذلك عن مجاهد رحمه الله ([5]).وقال بعضهم هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة. قال به الربيع بن أنس رحمه الله ([6])، ([7])؛ حيث قال في قوله تعالى: ذكره ﴿آلم﴾: "هذه الأحرف من التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو مدة قومهم وآجالهم، وقال عيسى بن مريم عليه السلام: وعجيب يتطوعون في أسمائه ويعيشون في

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٨، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٤.

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن فقال: (قال الكلبي: هي أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها وهي من أسمائه عن ابن عباس أيضاً ورد بعض العلماء هذا القول فقال: لا يصح أن يكون قسماً لأن القسم مقصود على حروف مثل: إن وقد ولا قد وما ولم يوجدها هنا حرف من هذه الحروف فلا يجوز أن يكون مبيناً والجواب أن يقال: موضع القسم قوله تعالى: لا ريب فيه فلو أن إنساناً حلف فقال: والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديداً وتكون لا جواب القسم فثبت أن قول الكلبي وما روي عن ابن عباس سديد صحيح فإن قيل: ما الحكمة في القسم من الله تعالى وكان القوم في ذلك الزمان على صنفين: مصدق ومكذب، فالمصدق يصدق بغير قسم، والمكذب لا يصدق مع القسم قيل له: القرآن نزل بلغة العرب والعرب إذا أراد بعضهم أن يؤكد كلامه أقسم على كلامه والله تعالى أراد أن يؤكد عليهم الحجة فأقسم أن القرآن من عنده).
ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدرسابق، ج١، ١٥٦.

(٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسير يهما، بينما نسبه إليه ابن كثير في تفسيره، والفيروز آبادي في تنوير المقباس. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٨، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٣، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٣٧، والفيروز آبادء، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، مصدر سابق، ج١، ٣.

(٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، ٨٨، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٣.

(٥) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٨.

(٦) الربيع بن أنس هو: الربيع بن أنس ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي. كان - رحمه الله - تابعياً من أهل البصرة، وعالم أهل مرو في زمانه. قال عته العجلي: بصري صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن حجر: صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. توفي بمرو سنة: (١٣٩هـ).
ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٩، ٣٧٣، ٣٧٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٦، ١٦٩، ١٧٠. الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج١٤، ٥٦.

(٧) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٨، ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٣.

رزقه فكيف يكفرون قال الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد".

وعقب الإمام الطبري - رحمه الله - على هذا القول بقوله: (وأما الذين قالوا: كل حرف من "ألم" ونظائرها، دالٌّ على معان شتى نحو الذي ذُكر عن الربيع بن أنس - رحمه الله - فإنهم وَجَّهوا ذلك إلى مثل الذي وَجَّهه إليه من قال: هو بتأويل "أنا الله أعلم"، في أنّ كلَّ حرف منه بعضُ حروفِ كلمةٍ تامة، استُغْنِيَ بدلالته عَلى تَمامه عن ذكر تمامه، وإن كانوا له مُخالفين في كلِّ حرف من ذلك: أهو من الكلمة التي ادَّعى أنه منها قائلو القول الأول، أم من غيرها؟ فقالوا: بل الألف من "ألم" من كلمات شتى، هي دالةٌ على معاني جميع ذلك وعلى تمامه. قالوا: وإنما أفرد كلُّ حرف من ذلك، وقصَّر به عن تمام حروف الكلمة، أن جميعَ حُروف الكلمة لو أظهرت، لم تدلَّ الكلمة التي تُظهر - التي بعضُ هذه الحروف المقطعة بعضٌ لها - إلا على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما. قالوا: وإذْ كان لا دلالة في ذلك، لو أظهر جميعها، إلا على معناها الذي هو معنى واحدٌ، وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكلّ حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد - لم يَجُز إلا أن يُفرَد الحرفُ الدالُّ على تلك المعاني، ليعلمَ المخاطبون به أنّ الله عز وجل لم يقصد قصد مَعنًى واحدٍ ودلالةٍ على شيء واحد بما خاطبهم به، وأنه إنما قصد الدلالةَ به على أشياء كثيرة. قالوا: فالألف من "الم" مقتضيةٌ معانيَ كثيرةً، منها تمامُ اسم الربّ الذي هو "الله"، وتمامُ اسم نعماء الله التي هي آلاء الله، والدلالةَ على أجَلِ قوم أنه سنة، إذا كانت الألف في حساب الجُمَّل واحدًا. واللام مقتضيةٌ تمامَ اسمِ الله الذي هو لطيف، وتمامَ اسم فَضْله الذي هو لُطفٌ، والدلالةَ على أجَلِ قوم أنه ثلاثون سنة. والميم مقتضيةٌ تمامَ اسم الله الذي هوَ مجيد، وتمامَ اسم عظمته التي هي مَجْد، والدلالةَ على أجَلِ قوم أنه أربعون سنة. فكان معنى الكلام - في تأويل قائل القول الأول - أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوَصْف نفسه بأنه العالِمُ الذي لا يخفى عليه شيء، وَجعل ذلك لعباده مَنهجًا يسلكونه في مُفتتح خطبهم ورسائلهم ومُهِمِّ أمورهم، وابتلاءً منه لهم ليستوجبوا به عظيمَ الثواب في دار الجزاء، كما افتتح بقوله جل شأنه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١)، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (٢)، وما أشبه ذلك من السُّور التي جعل مَفاتحها الحمدَ لنفسه، وكما جعل مفاتحَ بَعضها تعظيم نَفسه وإجلالها بالتسبيح، كما قال جل ثناؤه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾(٣)، وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن، التي جعل مفاتحَ بعضها تحميدَ نفسه، ومفاتحَ بعضها تمجيدَها، ومفاتح بعضها تعظيمَها وتنزيهها. فكذلك جَعل مفاتحَ

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

السور الأخَر التي أوائلها بعضُ حروف المعجم، مدائحَ نفسه، أحيانًا بالعلم، وأحيانًا بالعدل والإنصاف، وأحيانًا بالإفضال والإحسان، بإيجاز واختصار، ثم اقتصاصَ الأمور بعدَ ذلك. وعلى هذا التأويل يجبُ أن يكون الألف واللام والميم في أماكن الرفع، مرفوعًا بعضُها ببعض، دون قوله (ذَلِكَ الْكِتَابُ)، ويكون"ذلك الكتاب" خبرا مبتدأ مُنقطِعًا عن مَعنى"ألم". وكذلك"ذلك" في تأويل قول قائل هذا القول الثاني، مرفوعٌ بعضه ببعض، وإن كان مخالفًا معناهُ معنى قول قائل القول الأول)([1]). وقال بعضهم هي حروف من حساب الجمل ([2]).

وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في معنى ذلك فقال بعضهم هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بَواقيها، التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفًا؛ كما استغنى المُخبرُ - عمن أخبرَ عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفًا – بذكر "أ ب ت ث"، عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين، قال: ولذلك رُفع (ذَلِكَ الْكِتَابُ)، لأنّ معنى الكلام: الألف واللام والميم من الحروف المقطعة، ذلك الكتابُ الذي أنزلته إليك مجموعًا لا ريب فيه ([3]).

مناقشة الخلاف في المسألة والترجيح:

عقّب ابن كثير - رحمه الله - على الأقوال في المسألة بكلام جميل فذكر فقال: (ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين. هذا مقام، المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور، ما هي؟ مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها)([4]).

وعن كعب - رحمه الله - قوله: لا إله إلا هو كلمة الإخلاص([5]). وقال محمد بن إسحاق رحمه الله ([6]): قوله: (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ففتح السورة بتبرئة نفسه مما قالوا، وتوحيده إياها بالخلق والأمر لا شريك له فيه، ورد عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجا عليهم

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٩٢-٩٣.

(٢) قال الامام الطبري كرهنا ذكر الذي حكي ذلك عنه إذا كان الذي روته ممن لا يعتمد على روايته ونقله، الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٨.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١، ٨٨- ٨٩.

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٨٣.

(٥) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٥.

(٦) محمد بن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة القرشي من أهل المدينة، كنيته أبو بكر، وكان جده من سبى عين التمر، وهو أول سبى دخل المدينة من العراق، يروى عن الزهري ونافع، روى عنه الثوري وشعبة والناس، إمام المغازي صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، مات سنة (١٥١ أو ١٥٢هـ) ببغداد، وقد قيل: سنة (١٥٠هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٧، ٣٢١؛ وابن حبان، الثقات، مصدر سابق، ج٧، ٣٨٠.

بقولهم في صاحبه ليعرفوا بذلك ضلالتهم فقال: الله لا إله إلا هو، أي: ليس معه غيره شريك في أمره (١).

وعن قتادة رحمه الله (٢): قوله: الحي الذي لا يموت. وروى عن الربيع بن أنس - رحمه الله - نحو ذلك (٣). وعن مجاهد - رحمه الله -: قوله: القويم القائم على كل شيء (٤). وعن محمد بن إسحاق - رحمه الله -: قوله: ﴿الحي القيوم﴾ القائم على مكانته الذي لا يزول وعيسى - عليه السلام - لحم و دم، ومقتضى عليه بالحدث زال مكانه الذي يحدث به (٥). وعن محمد بن جعفر بن الزبير - رحمه الله - (٦): (القيوم) القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول وقد زال عيسى - عليه السلام - في قولهم له في قول الأحبار الذي حاجوا النبي من أهل نجران في عيسى - عليه السلام - عن مكانه الذي كأنه به وذهب عنه إلى غيره (٧).

المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة:

قرأ السبعة «الم الله» بفتح الميم والألف ساقطة، وروي عن عاصم - رحمه الله - أنه سكن الميم ثم قطع الألف، روى الأولى التي هي كالجماعة حفص رحمه الله، وروى الثانية أبوبكر رحمه الله، وذكرها الفراء عن عاصم رحمهما الله، وقرأ أبو جعفر الرؤاسي، وأبوحيوة رحمهما الله (٨) بكسر الميم للالتقاء وذلك رديء لأن الياء تمنع من ذلك والصواب الفتح قراءة جمهور

(١) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٥.
(٢) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، (٥٨٦/٢).
(٣) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٣، ١٦٣، ابن ابي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٦.
(٤) أخرجه مجاهد والطبري وابن أبي حاتم في تفاسيرهم. ينظر: مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (١٩٨٩): تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، ج١، ١٢١، الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٣، ١٦٥. ابن ابي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٦.
(٥) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٢، ٥٨٦.
(٦) محمد بن جعفر بن الزبير: هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي، يروى عن عروة بن الزبير عن عائشة وعباد بن عبد الله بن الزبير بن عمه، وكان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم، وروى عنه بن إسحاق وعبد الله بن أبى جعفر، وأخرج له الستة، وقال الدار قطني: مدني ثقة، وقال النسائي: ثقة، ومات سنة بضع عشرة ومائة، ينظر: ابن حبان، الثقات، مصدر سابق، ج٧، ٣٩٤؛ والمزي، تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج٢٤، ٥٧٩؛ وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج٩، ٨١.
(٧) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٣، ١٦٥.
(٨) ابن حيوة هو: ابن جرول وقيل: ابن جزل، وقيل: ابن جندل، الإمام، القدوة الوزير العادل، أبو نصر الكندي الأزدي، ويقال: الفلسطيني، الفقيه، من جلة التابعين، ولجده جرول بن الأحنف صحبة فيما قيل، حدث رجاء عن معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وطائفة. أرسل عن هؤلاء، وعن غيرهم، وروى أيضا عن عبد الله بن عمرو، ومعاوية، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وأبي أمامة الباهلي، ومحمود بن الربيع، وأم الدرداء، وعبد الملك بن مروان، وأبيه حيوة، وأبي إدريس، وخلق كثير، حدث عنه مكحول، والزهري، وقتادة، وعبد الملك بن عمير، وإبراهيم بن أبي عبلة، وابن عون، وحميد الطويل، وآخرون. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٤، ٥٥٨.

الناس. قال أبو علي - رحمه الله -: حروف التهجي مبنية على الوقف فالميم ساكنة واللام ساكنة فحركت الميم بالفتح كما حركت النون في قولك: "من الله ومن المسلمين" إلى غير ذلك. قال أبو محمد - رحمه الله -: ومن قال بأن حركة الهمزة ألقيت على الميم فذلك ضعيف لإجماعهم على أن الألف الموصولة في التعريف تسقط في الوصل فما يسقط فلا تلقى حركته(١).

وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ - رحمهم الله - "الم. اللَّهُ" بِقَطْعِ أَلِفِ الْوَصْلِ، عَلَى تَقْدِيرِ الْوَقْفِ عَلَى "الم" كَمَا يُقَدِّرُونَ الْوَقْفَ عَلَى أَسْمَاءِ الْأَعْدَادِ فِي نَحْوِ وَاحِدٌ، اثْنَانِ، ثَلَاثَةٌ، أَرْبَعَةٌ، وَهُمْ وَاصِلُونَ. قَالَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ - رحمه الله -: وَيَجُوزُ "الم اللَّهُ" بِكَسْرِ الْمِيمِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: هَذَا خَطَأٌ، وَلَا تَقُولُهُ الْعَرَبُ لِثِقَلِهِ. قَالَ النَّحَّاسُ - رحمه الله -: الْقِرَاءَةُ الْأُولَى قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا النَّحْوِيُّونَ الْقُدَمَاءُ، فَمَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ - رحمه الله - أَنَّ الْمِيمَ فُتِحَتْ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَاخْتَارُوا لَهَا الْفَتْحَ لِئَلَّا يُجْمَعَ بَيْنَ كَسْرَةٍ وَيَاءٍ وَكَسْرَةٍ قَبْلَهَا. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ - رحمه الله -: حُرُوفُ التَّهَجِّي إِذَا لَقِيَتْهَا أَلِفُ وَصْلٍ فَحُذِفَتْ أَلِفُ الْوَصْلِ حَرَّكْتَهَا بِحَرَكَةِ الْأَلِفِ فَقُلْتَ: الم اللَّهُ، والم اذْكُرْ، والم اقْتَرَبَتْ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ - رحمه الله -: الْأَصْلُ "الم اللَّهُ" كَمَا قَرَأَ الرُّؤَاسِيُّ - رحمه الله - فَأُلْقِيَتْ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمِيمِ (٢).

وقرأ جمهور القراء «القيوم» وزنه فيعول، وقرأ عمر وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - وعلقمة بن قيس رحمه الله (٣) "القيام" وزنه: فيعال - وروي عن علقمة - رحمه الله - أيضا أنه قرأ "القيم" وزنه فيعل، وهذا كله من قام بالأمر يقوم به إذا اضطلع بحفظه وبجميع ما يحتاج إليه في وجوده، فالله سبحانه وتعالى القيام على كل شيء بما ينبغي له أو فيه أو عليه (٤).

قال أبو جعفر - رحمه الله -: اختلفت القرَاءةُ في ذلك. فقرأته قرأة الأمصار (الْحَيُّ الْقَيُّوم). وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود - رضي الله عنهما - فيما ذكر عنهما: (الْحَيُّ الْقَيُّومُ). وذكر عن علقمة بن قيس - رضي الله عنه - أنه كان يقرأ: (الْحَيُّ الْقَيِّمُ). وقال أبو جعفر - رضي الله عنه -: والقراءة التي

(١) ينظر: المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مصدر سابق، ج١، ٣٩٧.
(٢) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج٤، ١.
(٣) علقمة بن قيس هو: أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان ابن كهل وقيل ابن كهيل بن بكر بن عوف ويقال ابن المنتشر بن النخع النخعي الكوفي الفقيه عم الأسود بن يزيد وأخيه عبد الرحمن وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي، ولد في أيام الرسالة المحمدية، وهاجر في طلب العلم والجهاد ونزل الكوفة ولازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل وتفقه به العلماء وبعد صيته، قال الهيثم بن عدي مات علقمة في خلافة يزيد وقال أبو نعيم وقعنب بن محرر سنة إحدى وستين وقال المدائني ويحيى بن بكير وأبو عبيد وابن معين وابن سعد وعدة: مات سنة اثنتين وستين ويقال توفي سنة خمس وستين ويقال سنة ثلاث وقيل غير ذلك وقال أبو نعيم النخعي عاش تسعين سنة. ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٤، ٥٤، ٥٥، ٥٦.
(٤) ينظر: المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١، مصدر سابق، ٣٩٧.

لا يجوز غيرها عندنا في ذلك، ما جاءت به قَرَأة المسلمين نقلا مستفيضًا، عن غير تشاعُر ولا تواطؤ، وراثةً، وما كان مثبتًا في مصاحفهم، وذلك قراءة من قرأ "الحي القيُّومُ" (١).

المبحث الثاني: التفسير بالدراية:

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها:

مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة؛ لأنه لما ذكر آخر البقرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) ناسب أن يذكر نصرة الله تعالى على الكافرين، حيث ناظرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورد عليهم بالبراهين الساطعة، والحجج القاطعة، فقص تعالى أحوالهم، ورد عليهم في اعتقادهم، وذكر تنزيهه تعالى عما يقولون، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح إلى آخر ما رد عليهم، ولما كان مفتتح آية آخر البقرة قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ (٣) فكأن في ذلك الإيمان بالله وبالكتب، ناسب ذكر أوصاف الله تعالى، وذكر ما أنزل على رسوله، وذكر المنزل على غيره، صلى الله عليهم (٤).

المطلب الثاني: التفسير اللغوي:

(الم) قيل إن هذه الأحرف إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف وهي في متناول المخاطبين به من العرب. ولكنه- مع هذا- هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله، وذهب محمد رشيد رضا – رحمه الله - إلى أن (الم) هو اسم السورة على المختار، ويقال: قرأت (الم) البقرة و(الم) آل عمران و(الم) السجدة. ويقرأ بأسماء الحروف لا بمسمياتها، وتذكر ساكنة كما تذكر أسماء العدد. فتقول: ألف لام ميم، كما تقدم: واحد اثنان ثلاثة، وتمد اللام والميم، وإذا وصلت به لفظ الجلالة جاز لك في الميم المد والقصر باتفاق القراء، والجمهور يصلون فيفتحون الميم ويطرحون الهمزة من لفظ الجلالة للتخفيف، وقرأ أبو جعفر عن عاصم بسكون الميم وقطع الهمزة(٥).

وفي قوله: "لا اله إلا هو"، فإنه خبرٌ من الله جل وعز، أخبرَ عبادَه أن الألوهية خاصةٌ به دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وأن العبادة لا تصلحُ ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية، وتوحُّده بالألوهية، وأن كل ما دونه فملكه،

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٤) ينظر: الأندلسي: البحر المحيط، ج٢، مصدر سابق، ٣٧٤.
(٥) ينظر: رضا، تفسير المنار، ج٣، مصدر سابق، ١٢٩.

وأنّ كل ما سواه فخلقه، لا شريك له في سلطانه ومُلكه احتجاجًا منه تعالى ذكره عليهم بأن ذلك إذْ كان كذلك، فغيرُ جائزة لهم عبادةُ غيره، ولا إشراك أحد معه في سلطانه، إذ كان كلّ معبود سواه فملكه، وكل معظَّم غيرُه فخلقهُ، وعلى المملوك إفرادُ الطاعة لمالكه، وصرفُ خدمته إلى مولاه ورازقه ومعرِّفًا مَنْ كان مِنْ خَلقه يَوم أنزل ذلك إلى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بتنزيله ذلك إليه، وإرساله به إليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه مقيمًا على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو إنسي أو مَلَك أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدم مقيمةً على عبادته وإلاهته ومتَّخذَه دون مالكه وخالقه إلهًا وربًّا أنه مقيم على ضلالة، ومُنعدلٌ عن المحجة، وراكبٌ غير السبيل المستقيمة، بصرفه العبادة إلى غيره، ولا أحدَ له الألوهية غيره ([1]).

(الْحَيُّ): حَيَ حياة، وحيواناً: كان ذا نماء. ويقال: حَيَّ يحيا فهو حيّ ([2]). والحي ضد الميت ([3]) فالحي (الذي لا يموت) ([4]). و(الحي بكسر الحاء) الحياة، وكذلك الحيوان بالتحري ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ([5]).

قال الفراء - رحمه الله -: كسر أول حي لئلا تبدل الياء واو كما قالوا بيض وعين.

وقال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - ([6]): الحياة على أوجه وعدد ستة أوجه ثم ذكر السادسة الحياة التي يوصف بها الباري تعالى جناته إذا قيل فيه تعالى إنه حي فمعناه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله تعالى ([7]).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٦، مصدر سابق، ١٤٨.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزياد وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مادة: حي، ج١، ٢١٣.
(٣) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، فصل الحاء، ج٣، ٤٠٧.
(٤) ينظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (١٤٠٩هـ): معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة)، ج١، ٣٣٨، والألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج٣، ٧٥.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.
(٦) الراغب الأصفهاني هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: (محاضرات الأدباء) مجلدان، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(المفردات في غريب القرآن)، توفي سنة (٥٠٢هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٨، ١٢٠؛ والفيروز آبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مصدر سابق؛ والزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج٢، ٢٥٥.
(٧) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق، فصل الحاء، ج١، ٨٣٦٠.

(الْقَيُّومُ): القائم الحافظ لكل شيء واسم من أسماء الله الحسنى (١). والقيوم: القائم على كل شيء أي القائم على تدبر كل شيء من رزق وحياة وموت (٢). والقيوم: (القائم على سلطانه لا يزول) (٣).

وقال آخرون: "معنى ذلك: القيام على مكانه". ووجَّهوه إلى القيام الدائم الذي لا زوالَ معه ولا انتقال، وأنّ الله عز وجل إنما نفى عن نفسه بوَصفها بذلك، التغيُّرَ والتنقلَ من مكان إلى مكان، وحدوثَ التبدّل الذي يحدث في الآدميين وسائر خلقه غيرهم (٤).

المطلب الثالث: أوجه الإعراب:

قوله تعالى: (الم): أحرف مقطعة مبنية غير معربة، وكذلك سائر حروف الهجاء في أوائل السور، إلا أنه فتحت الميم هاهنا لسكونها وسكون اللام بعدها. وأما قول من قال: إنها فتحت لالتقاء الساكنين، ففاسد لأنه لو كان كذلك، لوجب فتحها في الم ذلِكَ الْكِتابُ وفي حم وفي ن وفي كل حرف من حروف التهجي التي في أوائل السور. وقيل (الم) الحروف المقطعة في أوائل السور للتنبيه مثل ألا ويا، لتنبيه المخاطب إلى ما يلقى بعدها (٥).

قال ابن كيسان - رحمه الله - (٦): موضع (الم) نصب، والتقدير: اقرءوا الم، وعليكم الم، ويجوز أن يكون في موضع رفع بمعنى: هذا الم، وذلك الم (٧).

وقوله تعالى: (اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ): الله: مبتدأ، ولا إله: مبتدأ ثان، وخبره محذوف وتقديره: لا إله معبود إلا هو، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول. و«هو» مرفوع لوجهين: أحدهما: لكونه مرفوعا على البدل من موضع: لا إله، والثاني: لكونه خبر: لا إله. ويجوز جعل الجملة في موضع نصب على الحال من الله تعالى، أو حال من ضمير نَزَّلَ (٨).

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد الزياد وحامد عبد القادر ومحمد النجار، حرف القاف (مادة: قام)، ج٢، ٧٦٨.

(٢) ينظر: النحاس، معاني القرآن، مصدر سابق، ج١، ٣٣٨.

(٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج٣، ٧٥. [ولمزيد من التفصيل ينظر: الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، مصر سابق، ج١، ٤١٧].

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٦، مصدر سابق، ١٥٧.

(٥) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مصدر سابق، ج٣، ١٤٤.

(٦) ابن كيسان هو: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحويّ، عالم بالعربية، نحوا ولغة، من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب، وكان مائلا إلى مذهب البصريين، وكان أبو بكر بن الأنباري ينتقصه ويقول خلط المذهبين، كان إماما في العربية، من كتبه: (المهذب) في النحو، و(غريب الحديث) و(معاني القرآن)، مات سنة (٢٩٩هـ). ينظر: الفيروز آبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مصدر سابق، ج١، ٥٨؛ والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مصدر سابق، ج١، ١٨؛ والزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج٥، ٣٠٨.

(٧) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، ج١، مصدر سابق، ١٩٩.

(٨) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٣، مصدر سابق، ص١٤٣، صافي، محمود بن عبد الرحيم (١٤١٨هـ): الجدول في إعراب القرآن الكريم، (دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت)، ج١، ٣١، والعمادي، إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٢.

وقوله تعالى: (الحي): قيل هو نعت للمبتدأ، وقيل: خبر ثانٍ له فالخبر (لا إله إلا هو) ثم جيء الخبر بعد خبر. وقيل هو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم لا غيره. و(القيّوم) خبر ثالث مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ([1]).

المطلب الرابع: الأساليب البلاغية:

قوله تعالى: (الم): لما كان أول أغراض هذه السورة، الذي نزلت فيه، هو قضية مجادلة نصارى نجران حين فروا إلى المدينة، وبيان فضل الإسلام على النصرانية، لا جرم أنها افتتحت بحروف التهجي، المرموز بها إلى تحدي المكذبين بهذا الكتاب، فكان ذلك شهيد لما نزلت السورة بسببه وبراعة استهلال لذلك ([2]).

والْحَيُّ الْقَيُّومُ في آية الكرسي، والآية هنالك إخبار لجميع الناس، وكررت هنا إخبارا لحجج هؤلاء النصارى، وللرد عليهم أن هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام لأنهم إذ يقولون إنه صلب فذلك موت في معتقدهم لا محالة إذ من البين أنه ليس بقيوم ([3]).

وجيء بالاسم العلم لتربية المهابة عند سماعه، ثم أردف جملة (لا إله إلا هو) جملة مقرضة أو حالية، رداً على المشركين، وعلى النصارى خاصة. واتبع بالوصفين (الحي القيوم) لنفي اللبس عند مسمى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالإلهية وأن غيره لا يستأهلها. وهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لأن معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذلك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما([4]).

وفي ذكر صفة (الحي) بعد قوله عز وجل (الله لا إله إلا هو) استدلال على إثبات تفرّده بالألوهية وإبطال عبودية كل من سواه. وأتبع بالوصفين (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) لنفي اللبس عن مسمى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالإلهية، وأن غيره لا يستأهلها؛ لأنه غير حي أو غير قيوم، فالأصنام لا حياة لها، وعيسى في اعتقاد النصارى قد أميت، فما هو الآن بقيوم، ولا هو في حال حياته بقيوم على تدبير العالم، وكيف وقد أوذي في الله، وكذب، واختفى من

(١) ينظر: النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج١، ٣٥٤، والعمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٢. وصافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، مصدر سابق، ج٣، ١٠٦.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ١٤٦.

(٣) ينظر: المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١، مصدر سابق، ٣٩٧.

(٤) ينظر: العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٢-٣، وابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ١٤٧.

أعدائه. وفي الآية حسن افتتاح بأجل أسماء الله تعالى، وفيها تكرار اسمه ظاهرا ومضمرا في ثمانية عشر موضعا، وفيها إطناب بتكرير الصفات ([1]).

المطلب الخامس: الاستنباطات.

يستنبط من هاتين الآيتين مجموعة من الاستنباطات ([2]):

١. افتتاح السورة بتنزيه الله تعالى نفسه مما قال النصارى وتوحيده إياه بالخلق والأمر لا شريك له فيه.
٢. تتضمن هذه الآية في شطرها الأول جملة حقائق أساسية في التصور الاعتقادي، وفي الرد كذلك على أهل الكتاب وغيرهم من المنكرين لرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحة ما جاء به من عند الله.
٣. إثبات ألوهية الله تعالى.
٤. إنكار ألوهية عيسى عليه السلام أو أنه ابن الله وبيان أن لا أحد يستحق العبادة سوى الله عز وجل.
٥. إثبات اسمين من أسماء الله وهما: الحي والقيوم، بجانب اسم (الله) وهو الاسم الأعظم. وفي هذا إثبات حياة الله الكاملة. ومن الآثار المترتبة على معرفتنا بهذا الاسم: أولاً: محبة الله تعالى وإجلاله. ثانياً: التوكل الصادق على الله، كما قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ([3]). ثالثاً: الزهد في الدنيا الفانية وعدم الاغترار بها، لأنه مهما أعطي العبد من العمر فلابد من الموت.
٦. تعدد فضائل كلمة التوحيد، ومنها: أولاً: هِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، وَشَهَادَةُ الْحَقِّ وَدَعْوَةُ الْحَقِّ، وَبَرَاءةٌ مِنْ الشِّرْكِ، وَلِأَجْلِهَا خُلِقَ الْخَلْقُ. كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ([4]). ثانياً: وَلِأَجْلِهَا أُرْسِلَتْ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتْ الْكُتُبُ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ([5]). وقال تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ([6]). وَهَذِهِ الْآيَةُ أَوَّلُ مَا عَدَّدَ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ النَّعَمِ فِي سُورَةِ النِّعَمِ الَّتِي تُسَمَّى سُورَةَ النَّحْلِ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ - رحمه الله -: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، وَلِأَجْلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ الثَّوَابِ وَدَارُ الْعِقَابِ، فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ عَلَيْهَا كَانَ

([1]) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، مصدر سابق، من الحاشية، ٢٩٢.
([2]) الشحود، علي نايف (٢٠١٠): مفرق الطريق في القرآن الكريم، د.ن، ج١، ٨٥.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٦) سورة النحل، الآية: ٢.

مِنْ أَهْلِ دَارِ اَلثَّوابِ، وَمَنْ رَدَّهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلْعِقَاب، وَمِنْ أَجْلِهَا أُمِرَتْ اَلرُّسُلُ بِالْجِهَادِ، فَمَنْ قَالَهَا عُصِمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. ثالثاً: وهي أَحْسَنُ اَلْحَسَنَاتِ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! عَلِّمْنِي عَمَلاً يُقَرِّبُنِي مِنَ اَلْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنْ اَلنَّارِ، قَالَ: إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ حَسَنَةً، فَإِنَّهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مِنَ اَلْحَسَنَاتِ؟ قَالَ: هِيَ أَحْسَنُ اَلْحَسَنَات). رابعاً: وَهِيَ تُجَدِّدُ مَا دُرِسَ مِنَ اَلْإِيمَانِ فِي اَلْقَلْبِ. كما فِي اَلْمُسْنَدِ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لِأَصْحَابِهِ (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قَالُوا: كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّه) ([1]).

(١) الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب (٢٠٠١): تفسير ابن رجب، دار العاصمة، ج٢، ٢٧٤، ٢٧٥.

المبحث الثالث: التفسير الجملي (١):

بدأ الله السورة بإثبات التوحيد الذي هو أساس الدين ولرد اعتقادهم من أول الأمر، الله لا معبود بحق في الوجود إلا هو إذ ليس في الوجود صاحب سلطة حقيقية على النفوس يبعثها على تعظيمه والخضوع له قهرا منها معتقدة أن بيده منح الخير ورفع الضر إلا الله وحده دون سواه، الحي الدائم الحياة التي لا أول لها، القيوم على خلقه بالتدبير والتصريف.

ففي هذه الآية يخبر الله بأنه منفرد بالألوهية، وذلك من قوله (لا إله إلا هو) هذه جملة تفيد الحصر وطريقة النفي والإثبات هذه من أقوى صيغ الحصر، ففيها نفي استحقاق غير الله العبادة، وإثبات استحقاق الألوهية والعبودية لله تعالى.

الفصل الثاني: دعاء الراسخين في العلم:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢).

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالرواية:

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب النزول.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.

المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية:

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها.

المطلب الثاني: التفسير اللغوي.

المطلب الثالث: أوجه الإعراب.

المطلب الرابع: الأساليب البلاغية.

المطلب الخامس: آيات الأحكام.

المطلب السادس: الاستنباطات.

المبحث الثالث: التفسير الجملي.

المبحث الأول: التفسير بالرواية:

ويشتمل على أربعة مطالب:

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، مصدر سابق، ٢٩٤، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٨، ٩.

المطلب الأول: مناسبة الآيتين لما قبلهما:

بعد أن بين - سبحانه - موقف الناس من محكم القرآن ومتشابهه، شرع في بيان ما يتضرع به المؤمنون الصادقون الذين يؤمنون بكل ما أنزله الله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ (١) (٢).

وَلَمَّا كَانَ الْمُتَشَابِهُ مَزَلَّةَ الْأَقْدَامِ وَمَدْرَجَةَ الزَّائِغِينَ إِلَى الْفِتْنَةِ وَصَلَ الرَّاسِخُونَ الْإِقْرَارَ بِالْإِيمَانِ بِهِ بِالدُّعَاءِ بِالْحِفْظِ مِنَ الزَّيْغِ بَعْدَ الْهِدَايَةِ، فَإِنَّهُمْ لِرُسُوخِهِمْ فِي الْعِلْمِ يَعْرِفُونَ ضَعْفَ الْبَشَرِ وَكَوْنَهُمْ عُرْضَةً لِلتَّقَلُّبِ وَالنِّسْيَانِ وَالذُّهُولِ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعِلْمَهُ لَا يُحَاطُ بِهِ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَيَخَافُونَ أَنْ يُسْتَزَلُّوا فَيَقَعُوا فِي الْخَطَأِ وَالْخَطَأُ فِي هَذَا الْمَقَامِ قَرِينُ الْخَطَرِ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ بَذْلِ جُهْدِهِ فِي إِحْكَامِ الْعِلْمِ فِي مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ وَإِحْكَامِ الْعَمَلِ بِحُسْنِ الِاهْتِدَاءِ إِلَّا اللُّجْأُ إِلَى اللهِ - تَعَالَى - بِأَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ الزَّيْغِ الْعَارِضِ، وَيَهَبَهُ الثَّبَاتَ عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَى الطَّرِيقَةِ (٣)

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ (٤) نظيره دعاء المؤمنين وتضرعهم إلى ربهم الذي ورد بصور عدة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٥). وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (٦). كما وردت العديد من الآيات التي توضح اليوم الذي لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٧).

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨، ٩.
(٢) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٣٥.
(٣) ينظر: رضا، تفسير المنار، ج٣، مصدر سابق، ١٨٩.
(٤) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٣٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.
(٦) سورة ص، الآية: ٣٥.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

وقال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ (١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (٦).

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله:

أولاً: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

عن شهر بن حوشب - رحمه الله - قال: قلت لأم سلمة، أم المؤمنين - رضي الله عنها -: ما كان أكثر دعاء رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" قالت: قلت يا رسول الله! ما أكثر دعاءك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك! قال "يا أم سلمة! ليس آدميّ إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله. فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ" فتلا معاذ (أحد رجال السند): رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا (٧).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا استيقظ من الليل قال "لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك. اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب" (٨).

وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ" وَكَانَ

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.
(٢) سورة هود، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٧.
(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٦.
(٦) سورة التغابن، الآية: ٩.
(٧) ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ٨٩.
(٨) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ١، ٣٤٨.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ قَوْمًا وَيَضَعُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (١).

وأخرج ابْن النجار - رحمه الله - فِي تَارِيخه عَن جَعْفَر بن مُحَمَّد الْخُلْدِيِّ – رحمه الله - (٢) قَالَ: رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: من قَرَأَ هَذِه الْآيَة على شَيْء ضَاعَ مِنْهُ رده الله عَلَيْهِ {رَبنَا إِنَّك جَامع النَّاس لِيَوْم لَا ريب فِيهِ إِن الله لَا يخلف الميعاد} اللَّهُمَّ يَا جَامع النَّاس لِيَوْم لَا ريب فِيهِ اجْمَعْ بيني وَبَين مَالِي إِنَّك على كل شَيْء قدير (٣).

ثانياً: التفسير الأثري الوارد عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم:

قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ - رحمه الله - : سَأَلُوا أَلَّا يَزِيغُوا فَتَزِيغَ قُلُوبُهُمْ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٤) كَأَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ قَالُوا: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بِاتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا إِلَى الْحَقِّ، بِمَا أَذِنْتَ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِالْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ (٥).

(١) ينظر: أحمد، مسند الإمام أحمد، ج٤، ١٨٢.

(٢) جعفر بن محمد الخلدي هو: جَعْفَر الْخُلْدِيِّ، واسْمه جعْفَر بن مُحَمَّد بن نصير أَبُو مُحَمَّد الْخَواص، ويُكنَّى أبا محمد، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: كَانَ من أفتى الْمَشَايخ وأجلهم وَأَحْسَنهمْ قولاً،وَ كَانَ الْمرجع إِلَيْهِ فِي عُلُوم الْقَوْم (أي الصوفية) وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم، وقال عنه الزركلي: كان شيخ الصوفية في أيامه ببغداد، وأعلمهم بالحديث"، لد في بغداد بالعراق سنة 253 هـ الموافق867 ، ونشأ وترعرع فيها، سُمي "الخُلدي" نسبةً إلى "قصر الخلد "ببغداد ولم يكن منه وإنما دعاه الجنيد بذلك فلزمه، وسُمّي "الخواص" لأنه كان يبيع الخوص وهو ورق النخل، صحب الجنيد وعُرف بصحبته له، كما صحب أبا الحسين النوري ورويماً بن أحمد وسمنون بن حمزة وأبا محمد الجريري وَغَيرهم من الْمَشَايخ. حجّ أكثر من ٦٠ حجّة، وَأَسْندَ الحَدِيث وَرَوَاهُ. تُوفّي بِبَغْدَاد سنة 348 هـ وقبره بالشونيزية عِنْد قبر سري السَّقطِي والجنيد. ينظر: السلمي، أبو عبد الرحمن (٢٠٠٣): طبقات الصوفية، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ٣٢٦، ٣٣٠.

(٣) ينظر: السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق، ج٢، ١٥٨.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج١، ص٣٦٥.

المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة:

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر (١)، وعاصم - رحمهم الله – (لا تزغ) بفتح التاء (قلوبنا) برفع الباء (٢).

المبحث الثاني: التفسير بالدراية:

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التفسير اللغوي:

قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا): أي لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ. و(بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا): أي وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك. (وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً): أي أعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وقيل: هب لنا تجاوزا ومغفرة. ويرى بعضهم أن هذا كلام جديد، وهو تعليم من الله- تعالى- لعباده ليكثروا من التضرع إليه بهذه الدعوات وأمثالها (٣).

وقوله سبحانه وتعالى: (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ): الهبة: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، والوهاب في صفة الله تعالى: أنه يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (٤). وقيل الوهاب: الذي يجود بالعطاء من غير استثابة (٥). و(رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ): أَيْ: بَاعِثُهُمْ وَمُحْيِيهِمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ (٦). وَقِيلَ: مَعْنَى الْجَمْعُ هُنَا أَنَّهُ يَجْمَعُهُمْ فِي الْقُبُورِ، وَكَأَنَّ اللَّامَ تَكُونُ بِمَعْنَى إِلَى لِلْغَايَةِ، أَيْ: جَامِعُهُمْ فِي الْقُبُورِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَكُونُ اسْمُ الْفَاعِلِ هُنَا لَمْ يُلْحَظْ فِيهِ الزَّمَانُ، إِذْ مِنَ النَّاسِ مَنْ مَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَمُتْ، فَنُسِبَ الْجَمْعُ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ الزَّمَانِ، وَالضَّمِيرُ فِي: فِيهِ، عَائِدٌ عَلَى الْيَوْمِ، إِذِ الْجُمْلَةُ صِفَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَعَادَهُ عَلَى الْجَمْعِ الْمَفْهُومِ مِنْ جَامِعُ، أَوْ عَلَى الْجَزَاءِ الدَّالِّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، فَقَدْ أَبْعَدَ (٧).

وقوله سبحانه وتعالى: (لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ): أي ليوم القضاء، وقيل: اللام بمعنى في أي يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه كائن وهو يوم القيامة (٨). (إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ): لِلتَّعْلِيلِ لِمَضْمُونِ مَا قَبْلَهَا، أَيْ: أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْوَعْدِ

---

(١) ابن يعمر هو: الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو ويكنى أبا عدي، حدث عن أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر مرسلا، وعن عائشة وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعدة، وقرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي، حدث عنه عبد الله بن بريدة - وهو من طبقته - وقتادة، وعطاء الخراساني، وسليمان التيمي، ويحيى بن عقيل، وإسحاق بن سويد، وآخرون، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، مصدر سابق، ص٤٢٢.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ج١، ٢٦١.

(٣) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٣٥.

(٤) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، مصدر سابق، ج١، ٢٢٧.

(٥) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ج١، ٢٦١.

(٦) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج١، ٣٦٥.

(٧) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، مصدر سابق، ج٣، ٣٣.

(٨) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، مصدر سابق، ج١، ٢٢٨.

شَأْنُ الْإِلَهِ سُبْحَانَهُ وَخُلْفُهُ يُخَالِفُ الْأُلُوهِيَّةَ، كَمَا أَنَّهَا تُنَافِيهِ، وَتُبَايِنُهُ. وفيها إشارة إلى الجزاء الأخروي وما فيه من جزاء بعد الحساب، فهي تتضمن تبشيرا للمؤمنين، وإنذارا للعاصين الكافرين ([1]).

المطلب الثاني: أوجه الإعراب:

قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) مقول محكى لـ(يَقُولُونَ)، وإن شئت قلت: (رَبَّنَا) منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول القول([2]).

وقوله تعالى: (لَا تُزِغْ): (لَا): دعائية. و(تُزِغْ): فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. و(قُلُوبَنَا): مفعول به ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول القول على كونها جوابًا للنداء. و(بَعْدَ): منصوب على الظرفية متعلق بـ (تُزِغْ). و(إِذْ): حرف زائد بين المضاف والمضاف إليه لا معنى له ([3]).

وقوله تعالى: (هَدَيْتَنَا): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ (بَعْدَ). (وَهَبْ لَنَا): الواو عاطفة، (هب): فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة (لَا تُزِغْ) على كونها جواب النداء، و(لَنَا): جار ومجرور متعلق بـ (هب). و(مِنْ لَدُنْكَ): مِن حرف جر، ولدن: ظرف مكان بمعنى: عند في محل الجر بمِن مبني على السكون لشبهه بالحرف شبهًا افتقاريًّا. ولدن: مضاف، والكاف: مضاف إليه والظرف متعلق بـ (تُزِغْ) و(رَحْمَةً): مفعول به ([4]).

وقوله تعالى: (إِنَّكَ): إنَّ حرف نصب، والكاف اسمها. (أَنْتَ): ضمير فصل أو مؤكد لاسم إن. و(الْوَهَّابُ): خبر إن، والجملة في محل النصب مقول القول ([5]).

وقوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ). رَبَّنَا: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول القول. وإِنَّكَ: حرف نصب واسمها {جَامِعُ النَّاسِ} خبر إن ومضاف إليه، وجملة (إن) جواب النداء في محل النصب مقول القول ([6]).

وقوله تعالى: (لِيَوْمٍ): جار ومجرور متعلق بـ (جَامِعُ)، واللام فيه بمعنى: في (لَا رَيْبَ فِيهِ): و(لَا) نافية و(رَيْبَ): في محل النصب واسمها فِيهِ: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لَا تقديره: لا ريب موجود فيه وجملة (لَا) من اسمها وخبرها في محل الجر صفة لـ (يوم). و(إِنَّ اللَّهَ) إِنَّ: حرف نصب

---

(١) ينظر: أبو زهرة: زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج٢، ص١١١٩.

(٢) ينظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١، ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق، ٤٦٣.

(٤) المصدر السابق، ٤٦٣.

(٥) ينظر: الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مصدر سابق، ج٤، ١٩٢.

(٦) درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١، ٤٦٣.

وتوكيد، ولفظ الجلالة اسمها. و(لَا يُخْلِفُ): لَا: نافية، ويُخْلِفُ؛ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، و(الْمِيعَادَ): مفعول به وجملة (إِنَّ) في محل النصب مقول القول لـ (يَقُولُونَ) أو مستأنفة ([1]).

المطلب الثالث: الأساليب البلاغية:

قال - سبحانه – (رَحْمَةً): بالتنكير لتكون شاملة لجميع أنواعها التي تتناول حصول نور الإيمان والتوحيد والمعرفة في القلب، وحصول الطاعة في الأعضاء والجوارح، وحصول سهولة أسباب المعيشة والأمن والصحة والكفاية في الدنيا وحصول سهولة سكرات الموت عند حضوره، وحصول سهولة السؤال في القبر، وغفران السيئات والفوز بالجنات في الآخرة.

وقوله تعالى: (لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) اختص القلوب؛ لأن بها صلاح الجسد وفساده وليس كذلك بقية الأعضاء؛ ولأنها محل الإيمان ([2]).

وقوله تعالى: (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا): تَحْقِيقٌ لِلدَّعْوَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّلَطُّفِ إِذْ أَسْنَدُوا الْهُدَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ ذَلِكَ كَرَمًا مِنْهُ، وَلَا يَرْجِعُ الْكَرِيمُ فِي عَطِيَّتِهِ ([3])

وقوله تعالى: (رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ) فِيهِ تَقْدِيرُهُ: جَامِعُ النَّاسِ لِلْجَزَاءِ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَحُذِفَ لِكَوْنِ الْمُرَادِ ظَاهِرًا، جاءوا بهذا الدعاء بعد الإيمان بالمتشابه، ليستشعروا أنفسهم الخوف من تسرّب الزيغ الذي يسلبهم الرحمة في ذلك اليوم، وهذا الخوف هو مبعث الحذر والتوقي منه ([4]).

وهناك التفات ([5]) في قوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ).

و(إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) تأكيد رحمة الله تعالى بعدة مؤكدات، منها "إنَّ" التي للتوكيد، ومنها تأكيد الضمير بقوله "أنت" ومنها القصر ([6])، أي لَا يهب أحد سواك، وذلك بتعريف الطرفين، ومنها التعبير بصيغة المبالغة، وهي: الوهاب، وإنه سبحانه قد انفرد بالرحمة وهبة الرحمة لمن يشاء، وإن رحمته وسعت كل شيء ([7]).

---

(١) ينظر: الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مصدر سابق، ج٤، ١٩٢.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ١٩٥.

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ص١٧٠.

(٤) ينظر: المراغي: تفسير المراغي، مصدر سابق، ج٣، ١٠٣.

(٥) الالتفات هو: التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة أعني المتكلم والمخاطب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. ينظر: المدني، صدر الدين بن المعصوم (١٩٨٦): أنوار الربيع في أنوع البديع، (النجف الأشرف، مطبعة النعمان)، ج١، ٣٦٤، والمصري، ابن أبي أصبع (١٩٥٧): بديع القرآن، (مصر، مكتبة نهضة مصر)، ٤٥.

(٦) القصر هو: الحصر والحبس، وتخصيص شيء بشيء، والشيء الأول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه. قلقيلة، عبده عبد العزيز (د.ت): البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ٢٣٩.

(٧) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج٢، ١١١٨.

وَالْقَصْرُ فِي قَوْلِهِ: إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ لِلْمُبَالَغَةِ، لِأَجْلِ كَمَالِ الصِّفَةِ فِيهِ تَعَالَى لِأَنَّ هِبَاتِ النَّاسِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَفَاضَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ لَا يُعْبَأُ بِهِ (١).

و(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ) تنبيه إلى أنه في هذا اليوم يتبين الحق، ويواجه الحق والمبطل، ويعلن الذين يزيغون والذين يذعنون، ويتبين زيغ الزائغ وجزاؤه، وثمرات الإيمان وجزاؤه. وفي هذا تنبيه أيضا إلى أن اليوم الآخر لا ينبغي أن يكون محلَّ ريب، لأن الذي أخبر به هو الذي خلق الخلق، فهو الذي بدأهم، وهو الذي يعيدهم، ولأنه سبحانه ما خلق الخلق عبثا، وما ترك الأمر للباطل والمبطلين يرتعون في الأرض ويفسدون، بل جعل للحق سلطانا، وجعل له العلو، فإن لم يكن في الحال، فإنه سيكون لَا محالة في المآل، والله على كل شيء قدير (٢).

وفي قوله تعالى: (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) استحضار عند طلب الرحمة أحْوجَ ما يكونون إليها، وهو يومُ تكونُ الرحمة سبباً للفوز الأبدي، فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءَهم على سبيل الإيجاز، كأنّهم قالوا: وهب لنا من لدنك رحمة، وخاصّة يوم تجمّع الناس(٣).

المطلب الرابع: آيات الأحكام:

احْتَجَّ الْجُبَّائِيُّ - رحمه الله - (٤) بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْقَطْعِ بِوَعِيدِ الْفُسَّاقِ، قَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَعِيدَ دَاخِلٌ تَحْتَ لَفْظِ الْوَعْدِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ سبحانه وتَعَالَى: ﴿**أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ**﴾ (٥) وَالْوَعْدُ وَالْمَوْعِدُ وَالْمِيعَادُ وَاحِدٌ، وَقَدْ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَكَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يُخْلِفُ فِي الْوَعِيدِ. وَالْجَوَابُ: لَا نُسَلِّمُ أَنَّهُ تَعَالَى يُوعِدُ الْفُسَّاقَ مُطْلَقًا، بَلْ ذَلِكَ الْوَعِيدُ عِنْدَنَا مَشْرُوطٌ بِشَرْطِ عَدَمِ الْعَفْوِ، كَمَا أَنَّهُ بِالِاتِّفَاقِ مَشْرُوطٌ بِشَرْطِ عَدَمِ التَّوْبَةِ، فَكَمَا أَنَّكُمْ أَثْبَتُّمْ ذَلِكَ الشَّرْطَ بِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ، فَكَذَا نَحْنُ أَثْبَتْنَا شَرْطَ عَدَمِ الْعَفْوِ

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ١٧١.

(٢) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج٢، ١١١٨.

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ١٧١.

(٤) الجبائي هو: أبو علي، محمد بن عبد الوهاب البصري. مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاثمائة، أخذ عن: أبي يعقوب الشحام، وعاش ثمانيا وستين سنة، ومات فخلفه ابنه العلامة أبو هاشم الجبائي، وأخذ عنه فن الكلام أيضا أبو الحسن الأشعري ، ثم خالفه ونابذه وتسنن. وكان أبو علي - على بدعته - متوسعا في العلم، سيال الذهن، وهو الذي ذلل الكلام وسهله، ويسر ما صعب منه. وكان يقف في أبي بكر وعلي: أيهما أفضل؟. وله كتاب: "الأصول" ، وكتاب: "النهي عن المنكر"، وكتاب: "التعديل والتجويز"، وكتاب: "الاجتهاد"، وكتاب: "الأسماء والصفات"، وكتاب: "التفسير الكبير "، وكتاب: "النقض على ابن الراوندي"، وكتاب: "الرد على ابن كلاب"، وكتاب: "الرد على المنجمين"، وكتاب: "من يكفر ومن لا يكفر"، وكتاب: "شرح الحديث"، وأشياء كثيرة. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٤، ص١٨٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.

بِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ، سَلَّمْنَا أَنَّهُ يُوعِدُهُمْ، وَلَكِنْ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الْوَعِيدَ دَاخِلٌ تَحْتَ لَفْظِ الْوَعْدِ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾(١).

فالجواب: لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢) وَقَوْلِهِ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٣) وَأَيْضًا لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ مِنْ أَوْثَانِهِمْ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ الْمُرَادُ مِنَ الْوَعْدِ تِلْكَ الْمَنَافِعَ (٤).

المطلب الخامس: الاستنباطات:

أشار بعض المفسرين إلى عدة استنباطات يمكن أخذها من هاتين الآيتين، ومنها (٥):

١. في الآية دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى.
٢. في هذه الآية الكريمة إشعار بأن نهاية أمل المؤمنين أن يظفروا بالجزاء الحسن من خالقهم يوم القيامة، لأنهم بعد أن سألوه تثبيت الإيمان وسعة الرحمة، توجهوا إليه بالمقصود الأعظم وهو حسن الثواب يوم القيامة.
٣. تَطْهِيرَ الْقَلْبِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مُقَدَّمٌ عَلَى تَنْوِيرِهِ بِمَا يَنْبَغِي، فَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ سَأَلُوا رَبَّهُمْ أَوَّلًا أَنْ لَا يَجْعَلَ قُلُوبَهُمْ مَائِلَةً إِلَى الْبَاطِلِ والعقائد الفاسدة، ثم أنهم ابتغوا ذَلِكَ بِأَنْ طَلَبُوا مِنْ رَبِّهِمْ أَنْ يُنَوِّرَ قلوبهم بأنوار المعرفة، وجوارحهم وأعضاءهم بِزِينَةِ الطَّاعَةِ.
٤. مشروعية الدعاء بهذا الدعاء، ومشروعية تصديره باسم الرب.
٥. سؤال الإنسان ربه ألا يزيغ قلبه.
٦. أن في صلاح القلب صلاحا لجميع الجسد.
٧. التوسل إلى الله بنعمه.
٨. التوسل بأسماء الله.
٩. أن يوم القيامة آت لا ريب فيه.
١٠. تمام قدرة الله بجمع الناس كلهم في هذا اليوم.
١١. انتفاء صفة خلف الوعد عن الله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢١.
(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٩.
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٧، ١٥١.
(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٧، ١٥٠، وطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٣٧.

المبحث الثالث: التفسير الجملي ([1]):

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا من مقال الراسخين، أي لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه، ولا تجعلها كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تثبت بها قلوبنا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ كثير النعم والإفضال، جزيل العطايا والنوال.

رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ وهذا من تتمة كلام الراسخين في العلم، وذلك لأنهم لما طلبوا من الله تعالى أن يصونهم عن الزيغ، وأن يخصهم بالهداية والرحمة، فكأنهم قالوا: ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا، فإنها منقضية منقرضة. وإنما الغرض الأعظم منه، ما يتعلق بالآخرة، فإنها القصد والمآل. فإنا نعلم أنك يا إلهنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة، ونعلم أن وعدك لا يكون خلفا، فمن زاغ قلبه بقي هناك في العذاب أبدا، ومن منحته الرحمة والهداية بقي هناك في السعادة والكرامة أبدا.

الفصل الثالث: تكليف الله تعالى العباد بقدر طاقاتهم:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ ([2]).

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالرواية:

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب النزول.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.

المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية:

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها.

المطلب الثاني: التفسير اللغوي.

---

(١) ينظر: العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مصدر سابق، ج٢، ٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣، ١٥١، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

المطلب الثالث: أوجه الإعراب.
المطلب الرابع: الأساليب البلاغية.
المطلب الخامس: آيات الأحكام.
المطلب السادس: الاستنباطات.

المبحث الثالث: التفسير الجملي.

المبحث الأول: التفسير بالرواية:

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب النزول:

روي عن جابر - رضي الله عنه - قال: لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾، قال جبريل عليه السلام: إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك، وعلى أمتك، فسل تعطه! فسأل: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" إلى آخر السورة ([1]).

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ نظيره ([2]) قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ ([3]).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ فقد جاءت الكثير من الآيات التي تبين أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف النفس البشرية ما لا تطيق ولا يكلفها بما لا تحتمل وأنه رفع عنها الحرج في ذلك ([4])، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ ([5])، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٢، ٨٩.
(٢) ينظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج٢، ٣٩٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.
(٤) ينظر: عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج٢، ٣٩١.
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٨.

﴿يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (١)، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (٢). وقد جاء القرآن بالكسب والاكتساب في موردٍ واحدٍ؛ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ (٤). وقال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ (٦). ويؤكد الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات أنه هو المولى في الحقيقة لِلكُلِّ على ما قال ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (٧). ونظير هذه الآية الكريمة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم﴾ أي: ناصرهم، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ﴾ (٨): أي: ناصره، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٩).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨١.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.
(٨) سورة التحريم، الآية: ٤.
(٩) سورة محمد، الآية: ١١.

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله.

أولاً: التفسير الأثري الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه" (١). وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث: عن الخطأ، والنسيان، والاستكراه" قال أبو بكر رضي الله: فذكرت ذلك للحسن، فقال: أجل، أما تقرأ بذلك قرآنا (٢): ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (٣).

وروى مسلم عن قتادة - رحمهما الله - في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها (٤).

وعن مقاتل بن سليمان رحمه الله (٥)؛ أنه لما أُسري بالنَّبيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُعطي خواتيم سورة البقرة، فقالت الملائكة: إنَّ الله - تعالى - قد

---

(١) ينظر: ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (د.ت): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية)، برقم (٢٠٤٥) وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (١٩٩٣): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت)، برقم (١٤٩٨)، وقد روي من طُرُق أَخَرَ وأعله أحمد وأبو حاتم: ينظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (٢٠٠٦): العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، (مطبعة الحميضي)، ج١، ٤٣١، و ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (٢٠٠١): العلل ومعرفة الرجال، (دار الخاني، الرياض)، ط٢، ج١، ٢٢٧، وقد قال العزازي في كتابه هداية المستنير في تخريج أحاديث ابن كثير ص١٢٧، صحيح رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عباس واسناد ابن ماجه منقطع وفيه الوليد بن مسلم فإنه يدلس ويوي وأما إسناد ابن حبان فموصول صحيح.

(٢) ينظر: ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (١٩٩٧): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٣، ٣٢٥.
روته خيرة بنت أبي حد رد أم الدرداء الكبرى، وعلق عليه العزازي في المصدر السابق بقوله: وأما أحاديث أم الدرداء فرواه ابن أبي حاتم (٣٠٩٢/٥٧٩/٢) وفيه شهر من حديث كثير الإرسال والأوهام وأبو بكر الهذلي، متروك الحديث، ويكفي لصحة هذا الحديث حديث ابن عباس.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٢، ١٤٦، ١٤٧.

(٥) مقاتل بن سليمان هو: قاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخرساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسير، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، كان متروك الحديث، وأصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه، من كتبه: (التفسير الكبير) جزء منه، و(متشابه القرآن) و(الناسخ والمنسوخ)، وتوفى بالبصرة سنة (١٥٠هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٧، ٣٧٣؛ والعجلي، معرفة الثقات، مصدر سابق، ج٢، ٢٩٥؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج٥، ٢٥٥.
والأثر أخرجه مقاتل بسنده في تفسيره. ينظر: مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى =

أكرمك بحسن الثَّناء عليك بقوله - تعالى: "آمَن الرَّسُول" فسلهُ وارغب إليه، فعلَّمهُ جبريل - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ - كيف يدعو، فقال محمَّد - عليه الصَّلاة والسَّلام - "غُفْرَانَكَ رَبَّنَا" وقال الله: قد غفرتُ لكم، فقال: "لاَ تُؤَاخِذْنَا" فقال الله: لاَ أؤاخذكم، فقال: "ولاَ تَحْمل عَلَينا إصراً" فقال: لا أُشدّد عليكم، فقال محمَّد: "لاَ تُحمِّلنا ما لاَ طاقةَ لنَا به" فقال: لا أُحملكم ذلك، فقال محمد: "واعْفُ عنا واغْفِرْ لَنا وارْحَمْنَا" فقال الله: قد عَفَوتُ عنكم، وغَفَرتُ لكم، ورحمتكم، وأنصركم على القوم الكافرين ([1]).

وأخرج البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد، فدخل علي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "من هذه"؟ قلت: فلانة، لا تنام الليل - تذكر من صلاتها- فقال: "مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا" ([2]).

ثانياً: التفسير الأثري الوارد عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم:

قال السدي رحمه الله ([3]): ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها، وحديث النفس مما لا يطيقون. وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: هم المؤمنون، وسع الله عليهم أمر دينهم، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ([4]). وقال: قتادة: قوله: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ)، أي: من خير، (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)، أي: من شر ([5]).

=

(١٤٢٣هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (دار إحياء التراث، بيروت)، ج١، ١٥٦.

(١) ينظر: أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (١٩٩٨): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٤، ٥٤٣.

(٢) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج٣، كتاب التشهد، ب ما يكره من التشديد به في العبادة، ٣٦، حديث رقم ١١٥١.

(٣) السدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي القرشي، أبو محمد، كان يقعد في سُدَّة باب الجامع فسمّي بالسُّدي، وهو السُّدِّي الكبير، رأى ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما، وروى عن أنس وابن عباس رضي الله عنهما، وروى عنه: شعبة والثوري، توفي سنة ١٢٧هـ. ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مصدر سابق، ج٣، ١٣٢ – ١٣٨، اوبن حجر، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج١، ١٥٨ – ١٥٩، الصفدي، مصدر سابق، ج٩، ٨٥ – ٨٦.

(٤) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسنيدهما الحسن عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس. ينظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق، ٢٢٨، والطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٣٠.

(٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم بسنيدهما الحسن عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس. ينظر:
=

وقوله: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قال ابن زيد رحمه الله ([1]): إن نسينا شيئًا مما افترضته علينا، أو أخطأنا شيئًا مما حرمته علينا.

وقوله تعالى: (رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا). قال مجاهد: {إِصْراً}، عهدًا. وقال ابن زيد رحمه الله: لاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا ذنبًا ليس فيه توبة ولا كفارة. وقال مالك: الإصر الأمر الغليظ ([2]).

وقوله: (رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ)، قال ابن زيد رحمه الله: لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به، فنعجز عنه، (وَاعْفُ عَنَّا) إن قصرنا عن شيء من أمرك مما أمرتنا به، (وَاغْفِرْ لَنَا): إن انتهكنا شيئًا مما نهيتنا عنه، (وَارْحَمْنَا): يقول: لأننا لا نعمل بما أمرتنا به، ولا نترك ما نهيتنا عنه إلا برحمتك. قال: ولم ينج أحد إلا برحمتك. وقوله تعالى: (أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ): ورد في بعض الآثار: (قال الله: قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم، ونصرتكم على القوم الكافرين). وكان معاذ - رضي الله عنه - إذا فرغ من هذه السورة قال: (آمين). وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - إذا فرغ من هذه السورة قال: (آمين)([3]).

وعن قتادة رحمه الله قال: (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به): تشديد يشدد به، كما شدد على ما كان قبلكم ([4]). وعَن سعيد بن جُبَير رحمه الله قَالَ: لما نزلت هَذِه الْآيَة قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: آمنا بِاللَّه وَمَلَائِكَته وَكتبه وَرُسُله، وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن مقَاتل بن حَيَّان لَا نفرق بَين أحد من رسله لَا نكفر بِمَا جَاءَت بِهِ الرُّسُل وَلَا نفرق بَين أحد مِنْهُم وَلَا نكذب بِهِ (وَقَالُوا سمعنَا): لِلْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ من الله. (وأطعنا): اقروا لله أَن يطيعوه فِي أمره وَنَهْيه ([5]).

=

السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق، ٢٢٨، والطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٣٠.

(١) ابن زيد هو: عبد الرحمن بن زيد بن اسلم القرشي العدوي المدني مولى عمر بن الخطاب. ضعفه ابن المديني والنسائي وابو زرعة. وقال ابوحاتم: ليس بقوي الحديث. وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه وقال ابن حجر في التقريب: ضعيف. توفي سنة اثنين وثمانين ومائة.

ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مصدر سابق، ج٢، ٧٨٨، أو ابن حجر، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج٦، ١٧٧.

(٢) أخرجه عبد الرازق بسنده الصحيح عن قتادة. ينظر: الحريملي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك (١٩٩٦): توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، (دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم، بريدة)، ج١، ٣٦٧، ٣٦٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري بسنده الصحيح عن قتادة. ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٣١، وابن ياسين، حكمت بشير، مرجع سابق، ج١، ٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) ينظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق، ٢٣١.

والْوُسْعُ: اسْمٌ لِمَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ، وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ إلى عدة أقوال([1]):

ذهبَ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - وَعَطَاءٌ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ حَدِيثَ النَّفْسِ الَّذِي ذكر في قوله: وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ خَاصَّةً وَسَّعَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ فِيهِ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) ([2])، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) ([3]).

وَسُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رحمه الله عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَها)، قَالَ: إِلَّا يُسْرَهَا وَلَمْ يُكَلِّفْهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، لِأَنَّ الْوُسْعَ مَا دُونُ الطَّاقَةِ. وقد قال مكحول رحمه الله ([4]) في قوله: (رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قال: الغرْبة والغلمة، رواه ابن أبي حاتم رحمه الله، "قال الله: نعم" وفي الحديث الآخر: "قال الله: قد فعلت" ([5]).

وروى وَكِيع رحمه الله ([6]) عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: أنه كان إذا ختم البقرة قال: آمين ([1]).

---

(١) ينظر: البغوي: معالم التنزيل، مصدر سابق، ج١، ٣٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) مكحول هو: مكحول بن عبد الله، الشامي الدمشقي. الفقيه **كنيته** أبو عبد الله، ويقال: أبو أيوب، و يقال: أبو مسلم وقيل: الشامي الدمشقي يعتبر مكحول الشامي من **الطبقة** الخامسة من طبقات رواة **الحديث النبوي** التي تضم صغار التابعين ورتبته عند **أهل الحديث** وعلماء **الجرح والتعديل** وفي كتب **علم التراجم** يعتبر ثقة فقيه، كثير الإرسال، مشهور،وعند **الإمام شمس الدين الذهبي** فقيه الشام، ولد في **كابل** عام وتوفي في عام ١٠٠ و بضع عشرة هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٥، ١٥٦، ١٥٧، وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج١٠، ٢٩٢.

(٥) ينظر: أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، ج١، ٢٣٦.

(٦) وكيع هو: وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس الإمام الحافظ محدث **العراق** أبو سفيان الرؤاسي الكوفي أحد الأعلام ولد سنة تسع وعشرين ومئة قاله **أحمد بن حنبل** وقال خليفة وهارون بن حاتم ولد سنة ثمان وعشرين واشتغل في الصغر. سمع من **هشام بن عروة** **وسليمان الأعمش** **وإسماعيل بن أبي خالد** وابن عون **وابن جريج** وداود الأودي **ويونس بن أبي إسحاق** وأسود بن شيبان وهشام بن الغاز **والأوزاعي** وجعفر بن برقان وزكريا بن أبي زائدة وطلحة بن عمرو المكي وفضيل بن غزوان وأبي جناب الكلبي وخلق كثير، وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٩، ١٤١، ١٤٢.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: لما نزلت، ضج المؤمنون منها ضجة وقالوا: يا رسول الله، هذا نتوب من عمل اليد والرجل واللسان! كيف نتوب من الوسوسة؟ كيف نمتنع منها؟ فجاء جبريل عليه السلام بهذه الآية، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة. وحدث موسى رحمه الله قال: حدثنا عمرو رحمه الله قال: حدثنا أسباط، عن السدي رحمه الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وسعها، طاقتها. وكان حديث النفس مما لم يطيقوا (٢).

والراجح والله أعلم حسب قاعدة الترجيح التي تنص على أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدى ذلك (٣). وهو ما رواه ابن عباس رضي الله في القول الثاني.

المطلب الرابع: بيان القراءات المتواترة ومعنى كل قراءة:

قرأ ابن أبي عبلة رحمه الله (٤): (إلا وسعها) جعله فعلًا ماضيًا، وأوَّلوه على إضمار {ما} الموصولة؛ أي: إلا ما وسعها. وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشرِّ (٥).

وخرَّجوا هذه القراءة على أنَّ الفعل فيها صلةٌ لموصول محذوفٍ تقديره: "إلاَّ ما وَسِعَهَا" وهذا الموصول هو المفعول الثاني، كما كان "وُسْعَهَا" كذلك في قراءة العامَّة، وهذا لا يجوز عند البصريِّين، بل عند الكوفيِّين، على أنَّ إضمار مثل هذا الموصول ضعيفٌ جدّاً؛ إذ لا دلالة عليه. وقد خرِّجت هذه القراءة على وجه آخر؛ وهو أن تجعل المفعول الثاني محذوفاً لفهم المعنى، وتجعل هذه الجملة الفعليَّة في محلِّ نصبٍ لهذا المفعول، والتقدير: لا يكلِّف الله نفساً شيئاً إلا وسعها. قال ابن عطية رحمه الله: وفي قراءة ابن أبي عبلة رحمه الله تجوُّزٌ؛ لأنه مقلوبٌ، وكان يجوز وجه اللفظ: إلا وسعته؛ كما قال الله تعالى:

=

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ٧٣٧.

(٢) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ١٣٠.

(٣) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، مصدر سابق، ص٢١.

(٤) ابن أبي عبلة هو: براهيم بن أبي عبلة المقدسي، يقال: أبو إسماعيل، ويقال: أبو سعيد، ويقال: أبو إسحاق العقيلي الشامي المقدسي، كان **الوليد بن عبد الملك** يوجهه إلى **بيت المقدس** يقسم فيهم العطاء. من بقايا التابعين، ولد بعد الستين مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين ومائة. ينظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (١٩٨٧): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٣، ٥٤، ابن أبي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري (١٩٩٦): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: خليل منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج١، ١٠٧.

(٥) ينظر: الهرري الشافعي، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي (٢٠٠٠): تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (دار طوق النجاة، بيروت – لبنان)، ج٤، ٤٩.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٢)، ولكن يجيء هذا من باب "أَدْخَلْتُ القَلَنْسُوَةَ في رَأْسِي" (٣).

وقرئ (ولا تحمل) بالتشديد للمبالغة. كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك إياه على من قبلنا، أو مثل الذي حملته إياهم فيكون صفة لإصرا (٤).

فإن قيل: أيُّ فرقٍ بين هذه التَّشديدة والتي في (وَلاَ تُحَمِّلْنَا)؟ كان الجواب أن هذه للمبالغة في حمله عليه، وتلك لنقل حمله من مفعولٍ واحدٍ إلى مفعولين، أي أن التَّضعيف في الأوَّل للمبالغة، ولذلك لم يتعدَّ إلاَّ لمفعولٍ واحدٍ، وفي الثانية للتَّعدية، ولذلك تعدَّى إلى اثنين: أوَّلهما: "نَا"، والثاني: ما لا طاقة لنا به (٥).

وقوله: (لاَ تُؤَاخِذْنَا) يقرأ بالهمزة، وهو من الأخذ بالذَّنب، ويقرأ بالواو، ويحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من الأخذ أيضاً، وإنما أُبدلت الهمزة واواً؛ لفتحها وانضمام ما قبلها، وهو تخفيفٌ قياسيٌّ، ويحتمل أن يكون من: واخذه بالواو، قاله أبو البقاء. وجاء هنا بلفظ المفاعلة، وهو فعل واحدٍ؛ لأنَّ المسيء قد أمكن من نفسه، وطرق السبيل إليها بفعله؛ فكأنه أعان من يعاقبه بذنبه، ويأخذ به على نفسه. قال ابن الخطيب رحمه الله: وعندي فيه وجهٌ آخر، وهو أنَّ الله تعالى يأخذ المذنب بالعقوبة، فالمذنب كأنَّه يأخذ ربَّه بالمطالبة بالعفو والكرم، فإنَّه لا يجد من يخلِّصه من عذابه إلاَّ هو، فلهذا يتمسَّك العبد عند الخوف منه به، فلمَّا كان كلُّ واحدٍ منهما يأخذ الآخر، عبَّر عنه بلفظ المؤاخذة، ويجوز أن يكون من باب سافرت وعاقبت وطارقت (٦).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥
(٢) سورة طه، الآية: ٩٨.
(٣) ينظر: أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣١.
(٤) ينظر: البيضاوي، **ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن (١٤١٨هـ)**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ج١، ١٦٧.
(٥) ينظر: أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٨.
(٦) ينظر: أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٦.

المبحث الثاني: التفسير بالدراية:

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين الآية والتي قبلها:

بهاتين الآيتين الكريمتين ختمت هذه السورة، وهي أطول سورة في القرآن، وفيها لب الإسلام، ومغزاه ومرماه ؛ فيها بيان أخلاق الناس، واختلاف تلقيهم للحق الذي يدعون إليه، فمن مؤمن يذعن للحق بقلبه وجوارحه، ومن منافق يظهر الإذعان ويبطن الكفر، ومن معاند مشرك بالله يعرض عن الحق، وقد لاحت بيناته، وأضاءت الوجود آياته. ثم بينت أصل الخليقة، وبها تبيين الطبائع الإنسانية والطبائع الإبليسية، والإخلاص الملائكي ثم ضرب سبحانه الأمثال وقص سبحانه قصص النبيين: موسى وإبراهيم وإسماعيل، وبني إسرائيل، وفيهم يتمثل الإيمان أحيانا، والطبائع الإنسانية يتسلط عليها الشيطان في أكثر الأحيان، ويتمثل الطبع الإنساني في قوته وضعفه. ثم ذكر سبحانه أحكاما للجماعة في القتال، وفي السلام، في الأسرة وفي المجتمع، وفي التعاون بين الآحاد بالإنفاق في سبيل الخير وإعلاء كلمة الحق والفضيلة، ثم في الأسباب المفرقة بين الجماعات كالربا، ثم في المعاملات الفاضلة التي تحفظ فيها الثقة المتبادلة بين آحاد الجماعات الإسلامية، بين سبحانه وتعالى ذلك، ثم ختم السورة ببيان أمرين: أحدهما: أن رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - هي امتداد للرسالات السابقة كلها، وأن لب الدين واحد في كل الرسالات الإلهية، وثانيهما: بيان أن كل التكليفات الدينية يسر لا عسر فيها ، وأنها تهذيب روحي وتعاون اجتماعي. وقد بينت الآية الأولى من الآيتين الكريمتين الأمر الأول وبينت الثانية الأمر الثاني (١).

قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا): أي إلا قدرَ طَاقَتها، لا يكلفها فَرضاً من فُروضهِ من صَوْم أو صَلاةٍ أو صَدقَةٍ أو غير ذلك إلا بمقدار طاقتها (٢).

والوسع: ما يسع الإنسان، ولا يضيق عليه، ولا يخرج منه. قال الفرَّاء: هو اسم كالوجد والجهد. وقال بعضهم: الوسع هو دون المجهود في المشقَّة، وهو ما يتَّسع له قدرة الإنسان (٣).

و(لَهَا مَا كَسَبَتْ): يريدُ: من الحسناتِ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، يريد من السيئات (٤).

و(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا): أي: إن تركنا فرضًا على جهة النسيان، أو فعلنا حرامًا كذلك. (أَوْ أَخْطَأْنَا): أي: تركنا الصوابَ في العمل، جهلا منا

(١) ينظر: أبو زهرة، محمد (د.ت): زهرة التفاسير، ج٢، (دار الفكر العربي، القاهرة)، ١٠٨٦.

(٢) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق، ج١، ٣٦٩.

(٣) ينظر: أبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٠، والزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ٣٣٢.

(٤) ينظر: الثعالبي، الكشف والبيان، مرجع سابق، ج١، ٥٥٧.

بوجهه الشرعي ([1]). وقيل: إن "النسيان" على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط، والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به، وضعف عقله عن احتماله. فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط، فهو ترك منه لما أمر بفعله. فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به، وهو "النسيان" الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾([2])، وهو "النسيان" الذي قال جل ثناؤه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾([3]). فرغبة العبد إلى الله عز وجل بقوله: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)، فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا، ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطا منه فيه وتضييعا، كفرا بالله عز وجل. فإن ذلك إذا كان كفرا بالله، فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة، لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به، فمسألته فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعله، خطأ. وإنما تكون مسألته المغفرة، فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته، ومثل نسيانه صلاة أو صياما، باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما. وأما الذي العبد به غير مؤاخذ، لعجز بنيته عن حفظه، وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته، فإن ذلك من العبد غير معصية، وهو به غير آثم، فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له، لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب، وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجد منه فيقرأه، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه، ولكن بعجز بنيته عن حفظه، وقلة احتمال عقله ذكر ما أودع قلبه منه، وما أشبه ذلك من النسيان، فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الرب مغفرته، لأنه لا ذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه([4]).

وكذلك "الخطأ" وجهان: أحدهما: من وجه ما نهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ. يقال منه: "خطئ فلان وأخطأ " فيما أتى من الفعل، و"أثم"، إذا أتى ما يأثم فيه وركبه، ومنه قول الشاعر ([5]):

الناس يلحون الأمير إذا هم... خطئوا الصواب ولا يلام المرشد([1])

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٢١.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥١.
(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٣٢، ١٣٣.
(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدي.

يعني: أخطأوا الصواب وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه، إلا ما كان من ذلك كفرا. والآخر منهما: ما كان عنه على وجه الجهل به، والظن منه بأن له فعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلا وهو يحسب أن الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره إياها دخول وقتها، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل. فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد، الذي وضع الله عز وجل عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه به (٢).

وقيل إن كون العبد لا يؤاخذه ربه بما نسي أو أخطأ، إنما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة، فأما على وجه مسألته الصفح، فما لا وجه له عندهم (٣).

وقوله تعالى: (ربنا ولا تحمل علينا إصرا): الإصر في اللغة: الثقل والشدة، مأخوذ من أصر بمعنى حبس، فكأنه يحبس صاحبه في مكانه فيمنعه من الحركة وقيل: الإصر ذنب لا توبة له معناه اعصمنا من مثله والأصل فيه العقل والإحكام (٤).

وقوله تعالى: (وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ): أي ما يثقل علينا، فإن قال قائل: فهل يجوز أن يُحَمِّلَ اللَّهُ أحداً ما لا يطيق؟ قيل له: إن أردت ما ليس في قدرته ألبتَّة فهذا محال. وإن أردت ما يثقلُ ويخسف فللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يفعل من ذلك ما أحب. لأن الذي كلفه بني إسرائيل من قتل أنفسهم (يَثقل)، وهذا كقول القائل: ما أطيقُ كلام فلان، فليس المعنى ليس في قُدرتِي أن أكَلِّمَهُ ولكنْ معناه في اللغة أنه يثقل عليَّ (٥).

والطاقة: اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط، وهو مصدر جاء على غير قياس الفعل، وهي في الأصل، مصدرٌ، جاءت على حذف الزوائد، وكان من حقِّها "إطَاقَة"؛ لأنها من أطاق، ولكن شذَّت كما شذَّت أُلَيْفَاظٌ؛ نحو: أَغَار فقوله تعالى: (لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ):

=

(١) ينظر: عبيد بن الأبرص (١٩٩٤): ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: أشرف أحمد عدرة، (دار الكتاب العربي)، ٥٤، والبحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي (٢٠٠٧): حماسة البحتري، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، (المجمع الثقافي، أبو ظبي)، ٢٣٦.

(٢) ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٣٤.

(٣) ينظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (١٩٥٤): أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، (دار إحياء الكتب العربية، مصر)، ج٢، ١٣١، ١٣٢.

(٤) ينظر: الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض (د.ت): تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية)، ٥٧، ٥٨، البغوي: معالم التنزيل، مصدر سابق، ٣٥٨، وطنطاوي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج١، ٦٦١.

(٥) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق، ج١، ٣٧١، ومحمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٣٥.

أي: ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه لا تحملنا ما لا قدرة لنا به، فالطاقة على هذا تكون فيما فعله بأقصى القدرة والقوة ([1]).

و(اعف عنا): العفو: الصفح عن الذنب. و(اغفر لنا) الغفران: ستر الذنب ومحوه ([2]).

وقولهم: (أَنْتَ مَوْلانا) يدل على نهاية خضوعهم وتذللهم وطاعتهم لله رب العالمين، لأنهم قد اعترفوا بأنه – سبحانه - هو المتولى لكل نعمة يصلون إليها ([3]).

المطلب الثاني: أوجه الإعراب:

قوله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها): جملة مستأنفة مسوقة لإزالة الحرج عن النفوس ولبيان أن المؤاخذة قاصرة على ما في الوسع والطاقة، ولا نافية، ويكلف فعل مضارع مرفوع، والله فاعله، ونفسا مفعول به أول، وإلا أداة حصر، ووسعها مفعول به ثان ([4]).

وقوله تعالى: (لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ): لها: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وما: اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة: كسبت: لا محل لها لأنها صلة الموصول، وعليها ما اكتسبت: عطف على ما تقدم ([5]).

وقوله تعالى: (رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا): ربنا: منادى مضاف، ولا: ناهية معناها هنا الدعاء، وتؤاخذنا: فعل مضارع مجزوم بلا، ونا مفعول به، والفاعل أنت، والجملة داخلة في حيز القول المتقدم، وجملة النداء استئنافية. وقوله تعالى: (إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا): إن: شرطية، ونسينا: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ونا فاعل، أو أخطأنا: عطف عليه والجواب محذوف أي فلا تؤاخذنا، وجملة الشرط وجوابه في محل نصب على الحال ([6]).

وقوله تعالى: (كَما حَمَلْتَهُ): مفعول مطلق أو حال، وما: مصدرية، (عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا). على الذين: متعلقان بجملة. ومن قبلنا: متعلقان بمحذوف صلة الذين أي كانوا من الأمم السالفة. و(رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ): عطف

---

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (١٤١٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، الدار الشامية، لبنان، بيروت)، ٣١٢، وطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج١، ٦٦٢، وأبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٩.

(٢) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ٥٢٨.

(٣) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج١، ص٦٦٣.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، مصدر سابق، ٣٩٠، والشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، مصدر سابق، ج١، ١٩٨، ومحمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٦، ١٤٠، محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١، ٤٥١، ٤٥٢.

(٥) ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١، ٤٥١، ٤٥٢.

(٦) المصدر السابق.

على ما تقدم، وما: مفعول به ثان لتحملنا، ولا نافية للجنس، وطاقة: اسمها المبني على الفتح في محل نصب، ولنا: جار ومجرور متعلقان بطاقة، وبه: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا، (وَاعْفُ عَنَّا): دعاء معطوف على ما تقدم، وعنا متعلقان بـ (اعف)، (وَاغْفِرْ لَنا): عطف آخر، (وَارْحَمْنا): عطف آخر، (أَنْتَ مَوْلانا): أنت: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، ومولانا: خبر، والجملة مستأنفة بمثابة الاعتراف لله تعالى بأنه المولى. وقوله تعالى: (فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ): الفاء للتعليل، والجملة مسوقة لتعليل ما تقدم، وعلى القوم متعلقان بانصرنا (١).

المطلب الثالث: الأساليب البلاغية:

قوله تعالى (نفساً) نَكَّرَ نَفْسًا؛ لأنه أوفى بالشيوع، وأولى بالشُّمول (٢).

وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٣) أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها (٤) فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (٥).

وفي الإتيان بـ "كسب" في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب وأتى بـ "اكتسب" في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه، ولما أخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه وأن كل عامل سيجازى بعمله، وكان الإنسان عرضة للتقصير والخطأ والنسيان، وأخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق وتسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بذلك (٦).

و(عليها): أي بخصوصها ما اكتسبت فشرط في الشر صيغة الافتعال الدالة على الاعتمال إشارة إلى أن من طبع النفس الميل إلى الهوى بكليتها وإلى أن الإثم لا يكتب إلا مع التصميم والعزم القوي الذي إن كان عنه عمل ظاهر كان

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: مجير الدين، ابن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (٢٠٠٩): فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلامِيّةِ)، ج١، ٤١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٧٤): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ج٢، ١٧٢.

(٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ٣٣٢.

(٦) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج١، ١٢٤.

بجد ونشاط ورغبة وانبساط، فلذلك من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وربما جاءت العبارة بخلاف ذلك لمعنى في ذلك السياق اقتضاه المقام (١).

وجاءت العبارة في الحسنات بـ (لها) من حيث هي مما يفرح المرء بكسبه ويسر بها، فتضاف إلى ملكه. جاءت في السيئات بـ (عليها) من حيث هي أثقال وأوزار ومتحملات صعبة، وهذا كما تقول: لي مال وعلي دين. وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام(٢).

ولما دعوا بما تضمن الإيمان بما نزل إليهم مما حمل من كان قبلهم من الثقل أتبعوه ما يدل على اعتقادهم أن ذلك عدل منه في القضاء، وأنه له أن يفعل فوق ذلك فيكلف بما ليس في الوسع، لأنه المالك التام الملك والملك المنفرد بالملك، وسألوا التخفيف برفع ذلك فقالوا: ربنا ولا وعبر بالتفعيل لما فيه بما يفهم من العلاج من مناسبة التكليف بما لا يطاق فقال: تحملنا ما لا طاقة أي قدرة لنا به (٣).

وقوله: (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) عطف على الجملة التي قبله، وتكرير النداء للإيذان بمزيد التضرع واللجوء إلى الله سبحانه. وقيل تبركاً بهذا الاسم الكريم، وتعطفاً على الله؛ لأن هذا من أسباب إجابة الدعاء. فإن قيل: لم خصَّ الآية الأولى بالحمل، فقال: «لا تَحْمِلْ عَلَيْنا» وهذه الآية بالتَّحميل؟ فالجواب: أن الشَّاقَّ يمكن حمله، أمَّا ما لا يكون مقدوراً، فلا يمكن حمله، فالحاصل فيما لا يطاق هو التَّحميل فقط، فإن التَّحمُّل غير ممكنٍ. وأمَّا الشاقُّ: فالحمل، والتَّحميل فيه ممكنان، فلهذا السَّبب خصَّ الآية الأخيرة بالتَّحميل (٤).

وإن قيل: ما الفائدة في حكاية هذه الأدعية بلفظ الجمع في قوله: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ)، ولفظ الإفراد أكثر تذلُّلاً وخضوعاً من التَّلفُّظ بنون الجمع. فالجواب: أن قبول الدُّعاء عند الاجتماع أكثر، وذلك لأن للهمم تأثيراتٍ، فإذا اجتمعت الأرواح والدَّواعي على شيء واحدٍ، كان حصوله أكمل (٥).

وقوله تعالى: (فانصرنا) أتى بالفاء هنا؛ إعلاماً بالسببية؛ لأنَّ اللهَ تعالى لمَّا كان مولاهم ومالك أمورهم، وهو مُدَبِّرهم تسبَّبَ عنه أن دعَوْهُ أن ينصرهم على أعدائهم؛ كقولك "أَنْتَ الجَوَادُ فَتَكَرَّمْ"، و"أَنت المُعطي فرجاً فضلاً منك" (٦).

---

(١) ينظر: البقاعي، نظام الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج٤، ١٧٨.
(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج٣، ٣٩١.
(٣) ينظر: البقاعي، نظام الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج٤، ١٨٥.
(٤) ينظر: الشوكاني، فتح القدير الجامعي بين فني الرواية والدراية، مصدر سابق، ج١، ١٩٧.
(٥) ينظر: أبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٤٠.
(٦) المصدر السابق، ص٥٤٣.

وحسن الختام: فمن حق سورة البقرة - وقد اشتملت على العديد من الأحكام، وانطوت على التشريع والبيان - أن يتناول ختامها شكر المنعم الذي منّ على الإنسان بالعقل، ومن حق المنعم عليه أن يعترف لمن أسدى إليه الآلاء أن يشكرها ولمن نصب أمامه محاريب الفكر ومجالي الإبداع أن يفكر فيها ويتدبرها، ويشهد لمن أبدعها بالحول والطّول والانفراد بالوحدانية المتجلية على قلوب المؤمنين. فبالفكر وحده يحيا الإنسان ويستدل على وجوده (١).

المطلب الرابع: آيات الأحكام:

يؤخذ من هذه الآية قاعدة التيسير ونفي الحرج في أمور الدين كلها (٢)، وقاعدة العفو عن النسيان والخطأ، في العبادات وفي حقوق الله تعالى، وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المأثم، وتوجه الذم، وأما وجوب ضمان المتلفات خطأ أو نسيانا في النفوس والأموال، فإنه مرتب على الإتلاف بغير حق، وذلك شامل لحالة الخطأ والنسيان والعمد (٣). ويدخل في هذه القاعدة أنواع من الفقه منها: في العبادات: التيمم عند مشقة استعمال الماء على حسب تفاصيله في كتب الفقه، والقعود في الصلاة عند مشقة القيام في الفرض وفي النافلة مطلقاً، وقصر الصلاة في السفر، والجمع بين الصلاتين، ونحو ذلك من رخص السفر وغيرها. ومن التخفيفات أيضاً: أعذار الجمعة والجماعة، وتعجيل الزكاة، والتخفيفات في العبادات والمعاملات والجنايات. ومن التخفيفات المطلقة: فروض الكفايات، وسننها، والعمل بالمظنون لمشقة الاطلاع على اليقين. ويؤخذ من هذه الآية الكريمة: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) قاعدتان متفق عليهما؛ وهما: لا واجب مع العجز. ولا محرم مع الضرورة (٤).

وتمسَّك الفقهاء بهذه الآية في أنَّ الأصل في الأملاك البقاء والاستمرار؛ لأن اللام في قوله: (لها ما كَسَبَتْ) تدلُّ على ثبوت الاختصاص، ويؤكِّد ذلك قول الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "كُلُّ امْرِئٍ أَحَقُّ بِكَسْبِهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وسَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ"(٥)، وينبني على هذا الأصل فروع كثيرة، منها:

---

(١) ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١، ٤٥١.

(٢) قاعدة التيسير ورفع الحرج يقصد بها: إزالة ما في التّكليف الشّاقّ من المشقّة برفع التّكليف من أصله أو بتخفيفه أو بالتّخيير فيه، أو بأن يجعل له مخرج. ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، ج٣، ٢٧٣، السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (١٩٩٠): الأشباه والنظائر، (دار الكتب العلمية، بيروت) ٨٠-٨١، وابن نجيم، ين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف (١٩٩٩) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، (دار الكتب العلمية، بيروت) ٩٠-٩١.

(٣) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج١، ٢٠٧.

(٤) وهذه التخفيفات وأمثالها عائدة إلى أحد سبعة أسباب: أولها: السفر. وثانيها: المرض. وثالثها: الإكراه. ورابعها: النسيان. وخامسها: الجهل. وسادسها: العسر وعموم البلوى. وسابعها: النقص. كما في الصبيان والمجانين والنساء والأرقاء وأمثالهم ممن سقطت عنهم بعض التكاليف. ينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، مصدر سابق، ٧٧-٨٠، وابن نجيم، الأشباه والنظائر، مصدر سابق، ٨٤-٩٠.

(٥) رواه الحسن البصري بلفظ (كل أحداد حدث به موفق الدين بن قدامه المقدسي ٢٧٢/٨ وقال عنه =

أن المضمونات لا تملك إلاَّ بأداء الضَّمان؛ لأن المقتضي لبقاء الملك قائمٌ، ومنها: إذا غصب ساجةً فأدرجها في بنائه، أو حنطةً فطحنها، لا يزول الملك. ومنها: أن القطع في السَّرقة لا يمنع وجوب الضَّمان؛ لأن المقتضي لبقاء الملك قائمٌ، وهو قوله: {لَهَا مَا كَسَبَتْ} ويجب ردُّ المسروق إن كان باقياً (١).

وإن قيل: أليس فعل النَّاسي في محلِّ العفو بحكم دليلِ العقل؛ حيث لا يجوز تكليف ما لا يطاق، وبدليل السَّمع؛ وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ والنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» وإن كان كذلك، فما معنى طلب العفو عنه؟ فالجواب من وجوه (٢):

الأول: أن النِّسيان منه ما يعذر فيه صاحبه، ومنه ما لا يعذر؛ ألا ترى أنَّ من رأى في ثوبه نجاسة، فأخَّر إزالتها عنه إلى أن نسي فصلَّى وهي على ثوبه، عدَّ مقصِّراً؛ إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالتها، وأمَّا إذا لم ير في ثوبه نجاسة، فإنه يعذر فيه، ومن رمى صيداً فأصاب إنساناً، فقد يكون بحيث لا يعلم الرَّامي أنه يصيب ذلك الصَّيد أو غيره، فإذا رمى ولم يحترز، كان ملوماً، وأمَّا إذا لم تكن أمارات الغلط ظاهرةً، ثم رمى فأصاب إنساناً؛ كان ههنا معذوراً، وكذلك الإنسان إذا تغافل عن الدَّرس والتِّكرار، حتى نسي القرآن يكون ملوماً، وأمَّا إذا واظب على القراءة ونسي القرآن، فههنا يكون معذوراً؛ فثبت أن النِّسيان على قسمين: منه ما يعذر فيه، ومنه ما لا يعذر فيه، وهو ما إذا ترك التَّحفُّظ، أعرض عن أسباب التذكُّر، فهذا يصحُّ طلب غفرانه بالدُّعاء.

الثاني: أن هذا دعاء على سبيل التَّقدير؛ لأنَّ هؤلاء الَّذين ذكروا هذا الدُّعاء كانوا متَّقين لله حقَّ تقاته، فلم يكن يصدر عنهم ما لا ينبغي إلاَّ على وجه النِّسيان والخطأ، فكان وصفهم بذلك إشعاراً ببراءة ساحتهم عمَّا يؤاخذون به؛ كأنه قيل: إذا كان النِّسيان ممَّا تجوز المؤاخذة به، فلا تؤاخذنا به.

الثالث: أنَّ المقصود من هذا الدُّعاء إظهار التَّضرُّع إلى الله تعالى لا طلب الفعل؛ لأن الدَّاعي كثيراً ما يدعو بما يقطع بأنَّ الله تعالى يفعله، سواءٌ دعا أو لم يدع؛ قال: ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ (٣)، وقال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ (٤)، وقالت الملائكة: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ (٥) فكذا ههنا.

=

مرسل.

(١) ينظر: أبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٥.

(٢) ينظر: الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، مصدر سابق، ج١، ١٩٨، وأبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٦، ٥٣٧، وله طرق أحسنها طريق ابن عباس (وضع) وقد سبق تخريجه ص٨٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.

(٥) سورة غافر، الآية: ٧.

الرابع: أن مؤاخذة النَّاسي ممتنعةٌ عقلاً، لأنَّ الإنسان إذا علم أنه بعد النِّسيان يكون مؤاخذاً، فإنه بخوف المؤاخذة يستديم الذكر، فحينئذٍ لا يصدر عنه، إلاَّ أنَّ استدامة ذلك الذِّكر يشقُّ على النَّفس، فلمَّا جاز ذلك في العقول، حسن طلب المغفرة منه.

والخامس: أن الَّذين جوَّزوا تكليف ما لا يُطاق بهذه الآية، فقالوا: النَّاسي غير قادرٍ على الاحتراز عن الفعل، فلولا أنَّه جائزٌ عقلاً أن يعاقبه الله عليه، لما طلب بالدُّعاء ترك المؤاخذة به.

وقيل: إن المراد بالنِّسيان: التَّرك؛ قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (١)، أي: تركوا العمل لله فترك أن يثيبهم، ويقول الرَّجل لصاحبه «لاَ تَنْسِنِي من عَطِيَّتِكَ»، أي: لا تتركني، فالمراد بهذا النِّسيان أن يترك الفعل لتأويل فاسدٍ، والمراد بالخطأ: أن يفعل الفعل لتأويل فاسدٍ. كما أجيب عن ذلك بأن المراد طلب المؤاخذة بما صدر عنهم من الأسباب المؤدية إلى النسيان والخطأ، من التفريط وعدم المبالاة، لا من نفس النسيان والخطأ، فإنه لا مؤاخذة بهما كما يفيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان(٢)، وقيل: إنه يجوز للإنسان أن يدعو بحصول ما هو حاصل له قبل الدعاء لقصد استدامته، وقيل: إنه وإن ثبت شرعا أنه لا مؤاخذة بهما، فلا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا، وقيل: لأنهم كانوا على جانب عظيم من التقوى بحيث لا يصدر عنهم الذنب تعمدا، وإنما يصدر عنهم خطأ أو نسيانا، فكأنه وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا بنزاهة ساحتهم عما يؤاخذون به، كأنه قيل: إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به، فما منهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان (٣).

المطلب الخامس: الاستنباطات:

يستنبط من هذه الآية عدة استنباطات حسبما أشار إليه بعض المفسرين رحمهم الله تعالى (٤)، ومنها:

١. هذه الآية، وردت فيها نصوص تدل على الفضل العظيم؛ منها: أنها من كنز تحت العرش. أنها فتحت لها أبواب السماء عند نزولها. أنها لم يعطها أحد من الأنبياء قبل رسول الله. أن من قرأهما في ليلة كفتاه
٢. بيان رحمة الله بعباده، حيث لا يكلفهم إلا ما استطاعوه؛ ولو شاء أن يكلفهم ما لم يستطيعوا لفعل. فإذا قال قائل: كيف يفعل وهم لا يستطيعون؟ وما الفائدة بأن يأمرهم بشيء لا يستطيعونه؟ فالجواب: أن الفائدة أنه لو

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٢) سبق تخريجه ، ص١٠١.

(٣) ينظر: الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، مصدر سابق، ج١، ١٩٨، وأبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٦، ٥٣٧.

(٤) ينظر: القرطبي، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج١، ١٢٨.

كلفهم بما لا يستطيعون، وعجزوا عاقبهم على ذلك؛ وهذه قاعدة عظيمة من أصول الشريعة؛ ولها نظائر في القرآن، وكذلك في السنة.

٣. أن الإنسان لا يحمل وزر غيره؛ لقوله تعالى: وعليها ما اكتسبت. وإذا قال قائل: ما تقولون في قول النبي"من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"؟([1]) فالجواب: أن هذا لا يرد؛ لأن الذي فعلها أولاً اقتدى الناس به؛ فكان اقتداؤهم به من آثار فعله؛ ولما كان هو المتسبِّب، وهو الدال على هذا الفعل كان مكتسباً له.

٤. يسر الدين الإسلامي؛ فالله - تعالى - لا يكلف نفسا إلا وسعها.

٥. أن للإنسان طاقة محدودة؛ لقوله تعالى: (إلا وسعها)؛ فالإنسان له طاقة محدودة في كل شيء: في العلم، والفهم، والحفظ، فيكلف بحسب طاقته.

٦. أن للإنسان ما كسب دون أن ينقص منه شيء، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾ ([2]).

٧. أن الأعمال الصالحة كسب؛ وأن الأعمال السيئة غُرْم؛ وذلك مأخوذ من قوله تعالى: لها، ومن قوله تعالى: عليها؛ فإن «على» ظاهرة في أنها غُرم؛ واللام ظاهرة في أنها كسب.

٨. رحمة الله بالخلق، حيث علمهم دعاءً يدعونه به، واستجاب لهم إياه كما في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾.

٩. أنه ينبغي للإنسان أن يتوسل في الدعاء بالوصف المناسب، مثل الربوبية - التي بها الخلق، والتدبير؛ ولهذا كان أكثر الأدعية في القرآن مصدرة بوصف الربوبية، مثل: "ربنا"، ومثل: "ربِّ".

١٠. رفع المؤاخذة بالنسيان، والجهل؛ لقوله تعالى: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، فقال الله تعالى: «قد فعلت» ([3])؛ ولا يلزم من رفع المؤاخذة سقوط الطلب؛ فمن ترك الواجب نسياناً، أو جهلاً، وجب عليه قضاؤه، ولم يسقط الطلب به. فإن قال قائل: «قد ذكرتم أن المأمور لا يسقط بالجهل والنسيان»، فما الفائدة من عذره الجهل؟ فالجواب: أن الفائدة عدم المؤاخذة؛ لأنه لو فعل المأمور على وجه محرم يعلم به لكان آثماً؛ لأنه كالمستهزئ بالله وآياته، حيث يعلم أن هذا محرم، فيتقرب به إلى الله.

---

(١) أخرجه مسلم برواية جرير بن عبد الله عن أبيه، كتاب (الزكاة)، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث [١٠١٧] ٧٠٤/٢.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٣) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة...، ٨٠٤، حديث رقم ١٨٧٧.

١١. أن فعل الإنسان واقع باختياره؛ لقوله تعالى: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ فيكون فيها رد على الجبرية الذين يقولون: "إنه لا اختيار للعبد فيما فعل"؛ وبيان مذهبهم، والرد عليهم بالتفصيل مذكور في كتب العقائد.

١٢. أن النسيان وارد على البشر؛ والخطأ وارد على البشر؛ وجهه: قوله تعالى: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، فقال الله تعالى: "قد فعلت" (١)؛ وهذا إقرار من الله على وقوع النسيان، والخطأ من البشر. فإذا قال قائل: ما الحكمة من أن الله يجعل البشر ينسى، ويخطئ؟ فالجواب: ليتبين للإنسان ضعفه، وقصوره: ضعفه في الإدراك، وضعفه في الإبقاء، وفي كل حال؛ وليتبين بذلك فضل الله عليه بالعلم، والذاكرة، وما أشبه ذلك؛ وليعرف الإنسان افتقاره إلى الله في دعائه في رفع النسيان، والجهل عنه.

١٣. امتنان الله على هذه الأمة برفع الآصار التي حملها مَنْ قبلنا؛ لقوله تعالى: (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا)، فقال الله تعالى: "قد فعلت" (٢).

١٤. أن من كان قبلنا مكلفون بأعظم مما كلفنا به؛ لقوله تعالى: ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا؛ مثال ذلك: قيل لبني إسرائيل الذين عبدوا العجل: لن تقبل توبتكم حتى تقتلوا أنفسكم - أي يقتل بعضكم بعضاً؛ قيل: أنهم أمروا أن يكونوا في ظلمة، وأن يأخذ كل واحد منهم سكيناً، أو خنجراً، وأن يطعن من أمامه سواء كان ابنه، أو أباه، أو عمه، أو أخاه، أو غيرهم؛ وهذا لا شك تكليف عظيم، وعبء ثقيل؛ أما نحن فقيل لنا - حتى في الشرك كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ (٣).

١٥. أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله العافية، فلا يُحَمِّلُه ما لا طاقة له به؛ ففيه رد على الصوفية الذين قالوا: نحن لا نسأل الله تعالى أن يقينا ما يشق علينا؛ لأننا عبيده؛ وإذا حصل لنا ما يشق فإننا نصبر عليه لنكسب أجراً.

١٦. أنه ينبغي للإنسان سؤال الله العفو؛ لأن الإنسان لا يخلو من تقصير في المأمورات؛ فيسأل الله العفو عن تقصيره؛ لقوله تعالى: واعف عنا؛ وسؤالُ الله المغفرة من ذنوبه التي فعلها؛ لقوله تعالى: واغفر لنا؛ لأن الإنسان إن لم يُغفر له تراكمت عليه الذنوب، ورانت على قلبه، وربما توبقه، وتهلكه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨، ٦٩، ٧٠.

١٧. أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله أن يرحمه في مستقبل أمره؛ فيعفو عما مضى، ويغفر؛ ويرحم في المستقبل؛ لقوله تعالى: وارحمنا؛ وبه نعرف اختلاف هذه الكلمات الثلاث: طلب العفو عن التفريط في الطاعات؛ والاستغفار عن فعل المحرمات؛ والرحمة فيما يستقبله الإنسان من زمنه - أن الله يرحمه، ويوفقه لما فيه مصلحته.

١٨. أن المؤمن لا وليّ له إلا ربه؛ لقوله تعالى: أنت مولانا؛ وولاية الله نوعان: خاصة، وعامة؛ فالولاية الخاصة ولاية الله للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (٣)؛ والعامة: ولايته لكل أحد؛ فالله ولي لكل أحد بمعنى أنه يتولى جميع أمور الخلق؛ مثاله قوله تعالى: ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون (٤).

١٩. التوسل إلى الله تعالى في الدعاء بما يقتضي الإجابة؛ لقوله تعالى: أنت مولانا بعد أن ذكر الدعاء في قوله تعالى: واعف عنا واغفر لنا وارحمنا.

٢٠. أنه يجب على الإنسان اللجوء إلى الله في النصرة على القوم الكافرين؛ لقوله تعالى: فانصرنا على القوم الكافرين؛ والنصر على الكافرين يكون بأمرين: بالحجة، والبيان؛ وكذلك بالسيف، والسلاح؛ وأما السيف، والسلاح فظاهر؛ وأما الحجة، والبيان فقد يجتمع كافر، ومسلم، ويتناظران في أمر من أمور العقيدة فإن لم ينصر الله المسلم خُذل، وكان في ذلك خُذلان له، وللدين الذي هو عليه؛ وهذا النوع من النصر يتعين في المنافقين؛ لأن المنافق لا يجاهَد بالسيف، والسلاح؛ لأنه يُظهر أنه معك؛ ولهذا لما استؤذن الرسول في قتل المنافقين قال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» (٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٠.

(٥) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ٤٨٧، حديث رقم ٥٦٨٧؛ ومسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، ١٠٧٠، حديث رقم 2215.

المبحث الثالث: التفسير الجملي (١):

تحكي الآية الكريمة بعض مظاهر فضل الله علينا ورحمته بنا، حيث كلفنا بما تسعه قدرتنا، وتستطيعه نفوسنا، وقد حكى القرآن هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (٣).وإذا كانت بعض التكاليف التي كلفنا الله بها في مشقة، فإن هذه المشقة محتملة وفي وسع الإنسان وقدرته وطاقته، وستيبنا الله - تعالى - عليها ثوابا جزيلا، فهو القائل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤). ثم بين - سبحانه - أن كل نفس ستجازى بما عملت فقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٥): أي لها وحدها ثواب ما كسبت من حسنات بسبب أعمالها الصالحة، وعليها وحدها عقاب ما اكتسبت من سيئات بسبب أعمالها القبيحة.

فهم يسألونه - تعالى - أن يغفر لهم ما عساه يطرأ على أنفسهم فيعوقها عن الرقي في معارج الكمال الذي دعاها إليه الإيمان بها، والغفران كالمغفرة: الستر، وستر الذنب يكون بعدم الفضيحة عليه في الدنيا وترك الجزاء عليه في الآخرة، وإنما يطلب هذا بالتوبة وإتباع السيئة الحسنة مع الدعاء الذي يزيد في الإيمان وبذلك يمحى أثر الذنوب من النفس في الدنيا فيرجى أن تصير إليه - تعالى - في الآخرة نقية زكية؛ لأن هذا المصير إليه وحده هو الذي يكون وراءه الجزاء بحسب درجات النفوس في معارج الكمال.

وقوله تعالى: (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) أي أنت يا الله ناصرنا ومتولي أمورنا فلا تخذلنا، وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك من القوم الكافرين، الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، وكذبوا برسالة نبيك صلى الله عليه وسلم. روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة: قد فعلت!! وهذه كرامة من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ينظر: الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، مصدر سابق، ج١، ٢٠١، وأبو حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٩، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر ساق، ج١، ١٢٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فهذا نهاية العمل الذي أتمنى أن أكون وفقت فيه بفضل من الله وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، والكمال لله وحده، وفي النهاية يمكن استخلاص ما يلي:

١. أن الله تعالى لا تخفى عليه الظواهر والسرائر والضمائر وإن دقت وخفيت، وأنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم، وهو سبحانه يغفر بفضله لمن يشاء من عباده، ويعاقب من يشاء عقابه.
٢. المؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم.
٣. يلجأ المؤمنون إلى ربهم فيسألونه أن يغفر لهم ما عساه يطرأ على أنفسهم فيعوقها عن الرقي في معارج الكمال الذي دعاها إليه الإيمان بها.
٤. أثبتت الآيات في سورة آل عمران وحدانية الله، والنبوة، وصدق القرآن، وإبطال شبهات أهل الكتاب حول القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإعلان كون الدين المقبول عند الله هو الإسلام، ومناقشة النصارى في شأن المسيح وإلوهيته والتكذيب برسالة الإسلام، واستغرقت المناقشة قرابة نصف السورة.
٥. أبانت الآيات في سورة آل عمران بعض أحكام الشرع مثل فريضة الحج والجهاد وتحريم الربا وجزاء مانع الزكاة، وبعض الدروس والعبر والعظات من غزوتي بدر وأحد، والتنديد بمواقف أهل النفاق.
٦. بدأ الله سورة آل عمران بإثبات التوحيد الذي هو أساس الدين ولرد اعتقاد اليهود من أول الأمر.
٧. قَرَّرَت بعض آيات سورة آل عمران جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْرِفَةِ الْإِلَهِ، وَجَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَقْرِيرِ النُّبُوَّةِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ زَجْرًا لِلْمُعْرِضِينَ عَنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْبَاهِرَةِ.
٨. علْم اللَّه تعالى محيط بكل شيء، وهذه صفةٌ لَمْ تكُنْ لعيسى، ولا لأحدٍ من المَخلوقين.
٩. بينت الآيات أن الله سبحانه وتعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَ، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْإِلَهِيَّةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَهُ الْعِزَّةُ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالْحِكْمَةُ وَالْأَحْكَامُ.
١٠. اللهُ تَعَالَى هُوَ الذِي أَنْزَلَ القُرآنَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْهُ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ مُحَدَّدَةَ المَعْنَى، بَيِّنَةَ المَقَاصِدِ، هِيَ الأَصْلُ وَإِليهَا المَرْجِعُ (أُمُّ الْكِتَابِ). وَجَعَلَ مِنْهُ آيَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ، يَدِقُّ فَهْمُ مَعْنَاهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ.
١١. أن الذين جحدوا ما قد عرفوه من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم سواء كانوا من بني إسرائيل أم من كفار العرب- لن تنجيهم أموالهم التي

يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار، ولا أولادهم الذين يتناصرون بهم في مهامّ أمورهم ويعوّلون عليهم في الخطوب النازلة من عذاب الله شيئا.

١٢. أيد الله المؤمنين ونصَرهم. لقد جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقي، وبذلك وقع الرعب في قلوبهم فانهزموا. وفي هذا النصر عبرة لأصحاب البصائر الرشيدة والعقول السليمة.

١٣. زيّن الله حب الدنيا للناس وغرس حبها في قلوبهم حتى صار غريزة عندهم، وذلك من أجل تعمير الدنيا وتقدمها، ويجب على الإنسان أن يتقي الله في ذلك.

التوصيات:

توصي الدراسة بما يلي:

١. أوصي نفسي والآخرين بتقوى الله والمداومة على مطالعة كتابه العزيز قراءة وتفسيراً وتدبراً وعملاً بما فيه.
٢. العمل على تفسير أجزاء أخرى من آيات وسور القرآن الكريم لتعم الفائدة.
٣. العمل على تذليل العقبات التي تعوق الباحثين عن مثل هذه الدراسات.
٤. التحلي بالصبر والدقة والتركيز في تناول كتاب الله العزيز حتى تتم الفائدة.
٥. تدريب الباحثين على كيفية التعامل مع آيات وسور القرآن الكريم وكيفية الاستفادة من المصادر الأصلية في تفسيرهم لآيات وسور القرآن الكريم.
٦. التأكيد على ضرورة إخلاص النية لخدمة كتاب الله.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.

١- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (٢٠٠٦): العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، (مطبعة الحميضي)، ج١.
٢- ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج٢.
٣- ابن أبي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري (١٩٩٦): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: خليل منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج١.
٤- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (١٩٨٧): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٣.
٥- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج١، ٢٦١.
٦- ابن الجوزي، صفة الصفوة، (١٤٧/٣)،
٧- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (١٩٨٦): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ج١.
٨- ابن حجر العسقلاني في العجاب في بيان الأسباب.
٩- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (٢٠٠١): العلل ومعرفة الرجال، (دار الخاني، الرياض)، ط٢، ج١.
١٠-ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٢٢٧).
١١-ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦.
١٢-ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٣.
١٣-ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (١٩٩٧): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٣.
١٤-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١.
١٥- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج٢.
١٦-ابن نجيم، ين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف (١٩٩٩) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، (دار الكتب العلمية، بيروت).
١٧-أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (د.ت): بحر العلوم، (د.ن)، ج١.
١٨-أبو حفص النعماني: اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ٥٣٠، والزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ٣٣٢.
١٩-أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (١٩٩٨): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٤.
٢٠-أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، مصدر سابق، ج٣، ٣٣.

٢١-أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث (١٤٩٦)، ج١.
٢٢-أبو زهرة، محمد (د.ت): زهرة التفاسير، ج٢، (دار الفكر العربي، القاهرة)، ١٠٨٦.
٢٣-أبي حفص النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ج٥.
٢٤-أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٢.
٢٥-الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، مصر سابق، ج١، ٤١٧].
٢٦-الألوسي، روح المعاني، ج٣.
٢٧-الإمام السيوطي في اللباب المنقول في أسباب النزول، ج١.
٢٨-الأندلسي: البحر المحيط، ج٢، ٣٧٤.
٢٩- الباتلي= =خالد بن عبد العزيز (٢٠١١): التفسير النبوي مُقَدِّمَةٌ تَأْصِيْلِيَّةٌ مَعَ دِرَاسَةٍ حَدِيثِيَّةٍ لِأَحَادِيْثِ التَّفْسِيْرِ النَّبَوِيِّ الصَّرِيح، (دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية)، ج١.
٣٠-البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي (٢٠٠٧): حماسة البحتري، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، (المجمع الثقافي، أبو ظبي).
٣١-البقاعي، نظام الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج٤، ١٧٨.
٣٢-البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن (١٤١٨هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ج١.
٣٣-الترمذي، سنن الترمذي، كتاب "الدعوات"، حديث (٣٤٧٨) ج٥.
٣٤-الثعالبي، الكشف والبيان، مرجع سابق، ج١، ٥٥٧.
٣٥-الحريملي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك (١٩٩٦): توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، (دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم، بريدة)، ج١، ٣٦٧، ٣٦٨.
٣٦-الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب (٢٠٠١): تفسير ابن رجب، دار العاصمة، ج٢.
٣٧-الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (١٤١٥هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج١.
٣٨-الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (د.ت): روح البيان، (دار الفكر، بيروت)، ج٢.
٣٩-درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١، ٤٦٣.
٤٠-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤.
٤١-الرازي، مفاتيح الغيب، ج٧.

٤٢-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (١٤١٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، الدار الشامية، لبنان، بيروت).
٤٣-رضا، تفسير المنار، ج٣، ١٢٩.
٤٤-الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض (د.ت): تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية).
٤٥-الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق، ج١، ٣٦٩.
٤٦-الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٣.
٤٧-الزركلي، الأعلام، ج٤.
٤٨-الزمخشري، الكشاف، ج١، من الحاشية.
٤٩-السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
٥٠-السلمي، أبو عبد الرحمن (٢٠٠٣): طبقات الصوفية، (دار الكتب العلمية، بيروت).
٥١-السيوطي، الدر المنثور، ج٢.
٥٢-السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١.
٥٣-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٧٤): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ج٢، ١٧٢.
٥٤-السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (١٩٩٠): الأشباه والنظائر، (دار الكتب العلمية، بيروت).
٥٥-الشحود، علي نايف (٢٠١٠): مفرق الطريق في القرآن الكريم، د.ن، ج١.
٥٦-الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (١٩٥٤): أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، (دار إحياء الكتب العربية، مصر)، ج٢.
٥٧-الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، ج١.
٥٨- صافي، محمود بن عبد الرحيم (١٤١٨هـ): الجدول في إعراب القرآن الكريم، (دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت)، ج١.
٥٩-طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٢، ٣٥.
٦٠-عبيد بن الأبرص (١٩٩٤): ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: أشرف أحمد عدرة، (دار الكتاب العربي).
٦١-العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، ج٢.
٦٢-العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٢.
٦٣-الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (د.ت): تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، (دار الكتب العلمية، لبنان)، ج١، ٣.
٦٤-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١.

٦٥-مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (١٩٨٩): تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، ج١.
٦٦-مجير الدين، ابن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (٢٠٠٩): فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقَاف والشُؤُون الإِسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلامِيّةِ)، ج١، ٤١١.
٦٧-المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١.
٦٨-محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٦، ١٢١.
٦٩-محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج١.
٧٠-المدني، صدر الدين بن المعصوم (١٩٨٦): أنوار الربيع في أنوع البديع، (النجف الأشرف، مطبعة النعمان)، ج١.
٧١-المراغي: تفسير المراغي، ج٣.
٧٢-المزي، تهذيب الكمال، ج١٨.
٧٣-المصري، ابن أبي أصبع (١٩٥٧): بديع القرآن، (مصر، مكتبة نهضة مصر).
٧٤-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزياد وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مادة: حي، ج١.
٧٥-المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد الزياد وحامد عبد القادر ومحمد النجار، حرف القاف (مادة: قام)، ج٢.
٧٦-مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (١٤٢٣هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، (دار إحياء التراث، بيروت)، ج١.
٧٧-النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (١٤٠٩هـ): معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة)، ج١.
٧٨-النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (٢٠٠١): السنن الكبرى، تحقيق: حسين عبد المنعم شبلي، (مؤسسة الرسالة، بيروت)، ج٦.
٧٩-الهرري الشافعي، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي (٢٠٠٠): تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (دار طوق النجاة، بيروت – لبنان)، ج٤.
٨٠-اليافعي، مرآة الجنان، ج١.